الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: M201535110001

رقم التسجيل: ط2: M 201535103082

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص أدب حديث ومعاصر

بعنوان:

حضور التاريخ في رواية "يبكيه الحمام" لـ حفيظة قاسمي أنموذجا

إعداد الطالبتين (ة):

- بن سليمان راوية.
- عزة زهور.

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
مفتاح خلوف	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيسا
محمد عبد اللطيف زعيتري	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
عمر عليوي	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1440هـ-1441هـ/2019م-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، ولإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر و العرفان ، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات ، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات :

فكل الشكر

إلى أستاذنا المشرف **(محمد عبد اللطيف زعيتري)** منبع المعرفة و السراج

الذي أنار دربنا فكل الشكر والاحترام له

وإلى كل الأساتذة الذين سقونا من بحر المعرفة حتى وصلنا إلى أعلى الدرجات

كما نتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

مقدمة

مقدمة:

لقد سجل التاريخ حضورا متميزا في الإعمال الأدبية على اختلاف أنواعها خاصة الرواية ,إذ يعتبر من ابرز واهم العلوم الأشد ارتباط بها ،وإذ اعتبرنا أن التاريخ يستمد قضاياه وأحداثه من أحداث الماضي ، فان الرواية تستقي مادتها من الأوضاع والأحدث التي تحدث في مجتمع بعينه .

والمتتبع لشان الرواية العربية في المغرب العربي وفي تونس بشكل خاص يرى أن هناك تأخر في ظهورها مقارنة بنظيرتها في المشرق ويرجع ذلك إلى الظروف التاريخية والسياسة وحتى الثقافية التي مر بها الشعب التونسي وكان ذلك بفعل الاستعمار الفرنسي وأسالبيه المستبدة والتي أدت إلى تأخر ظهور الكثير من الإبداعات لاسيما الروائية ، ورغم هذا التأخر من حيث النشأة ،إلا أن ارتأينا أن نسلط الضوء على نوع من أنوعها والمتمثل في الرواية التاريخية ، التي تجمع بين الفن الروائي والتاريخ فيتدخل فيها السرد الروائي مع الوقائع التاريخية ، وهو ما يصنع السرد التاريخي وهذا اعتمدته حفيظة القاسمي في رويتها يبكيه الحمام ، من خلال طرحها لقضايا مهمة ترتبط بتاريخ تونس زمن حكم محمد صادق الباي ، معتمدة في ذلك على مرجعية تاريخية وبذلك كانت الدراسة الموسومة ب : **حضور التاريخ في رواية يبكيه الحمام لحفيظة القاسمي أنموذجا** .

وبما أن أي بحث يقوم على دوافع لدراسته فان أسباب اختيارنا للبحث كون الاهتمام الكبير بموضوع التاريخ والروايات التي تتصل موضوعاتها به ، لإعطاء فكرة عن ضرورة دراسة كل ما يتعلق بالتاريخ وإحيائه وإماطة الوطيدة بينه وبيننا، وتجسيد الكبير في كل مراحل حياتنا والوقوف عن أهمية تجسيد التاريخ في الرواية ومدى حضوره والتعامل مع العناصر المكونة لبنية النص الروائي .

وإذا كنا نقرا التاريخ من خلال الرواية ونتعرف على تاريخ الشعوب والأمم من خلال عمل فني يجذب القراء بسحره، وفي هذا الإطار يندرج بحثنا الذي نراه جدير بالاهتمام والتناول الذي يجعلنا نطرح جملة من التساؤلات والإشكاليات نختصرها فيما يلي : ما ميزة

الرواية التاريخية عن غيرها من الأنواع الروائية الأخرى ؟ ماذا عن شروطها وأهميتها؟ ثم ماذا عن علاقة الرواية بالتاريخ ؟. وإذا اعتبرنا أن رواية حفيظة القاسمي رواية تاريخية بالأساس فماهي تجليات حضور التاريخ فيها من خلال عملها الموسوم يبكيه الحمام ؟ وإلى أي مدى يتمظهر السرد التاريخي ولواقعي في هاته الرواية ؟

ولإجابة عن هذه الأسئلة اتخذنا المنهج التاريخي حينما تعلق الأمر بسرد حقائق تاريخية إضافة إلى المنهج التحليلي الوصفي لتتبع أحداث تاريخية ووظائفها واستفادة منها .

ولذا فقد أوجبت الإشكالية المطروحة ضبط خطة شاملة تضمنت المحاور الكبرى للبحث ,ما لبثت أن تفرعت عنها عناصر عديدة أوجدتها مراحل الدراسة ، وعلى هذا الأساس تم تقسيم البحث إلى محاور رئيسية وفق المخطط الأتي : مقدمة ، فص تمهيدي، بالإضافة إلى فصلين أساسين وخاتمة .

وقد راعينا في تقسيمنا للمحاور مبدأ التدرج الذي تقوم عليه منهجية البحث الأكاديمي تناولنا في **المدخـل** : الرواية التونسية نشأتها ومراحلها واتجاهاتها ، أمـــا **الفصـــل الأول النظري:** فقد كان موسوم ب: ماهية الرواية التاريخية ثم محاور إبراز عناصر تتمثل في مفهوم الرواية التاريخية عند الغرب والعرب ونشأتها وتطورها وشروطها وأهميتها ،وعلاقة بالتاريخ، ليأتي **الفصل الثاني التطبيقي** بعنوان: حضور التاريخ وتجلياته في رواية يبكيه الحمام ، فقد تحدثنا فيه عن مفهوم اللغوي والاصطلاحي للبعد الإحداث والشخصيات مع إظهار الجانب في كل هذه العناصر.

وقد كانت خاتمة بحثنا خلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستـــنا .

وحتى يكون البحث مرتكزا على أسس علمية متينة كان لابد من العودة إلى بعـــــض المصادر والمراجع كان أهمها :**الرواية** كمصدر أول، ابن منظور ، "**لسان العرب**" نضال محمد الشمالي ،"**الرواية والتاريخ**"(**بحث في مستويات الخطاب في الرواية**

التاريخية) "جورج لوكا تش" **الرواية التاريخية** ،وفي "**نظرية الرواية** "**(بحث في تقنيات السـ ـرد)** عبد المالك مرتاض .

إن هذا البحث لايخلو من الصعوبات والعوائق كغيره من البحوث خصوصا انه مس جانبا تاريخيا متعلقة بالدراسة، فمن الصعوبات التي واجهتنا هي صعوبات متعلقة بالدراسـ ـة التطبيقية ، وذلك الكشف عن الحضور التاريخ واستخلاص الجانب الفني في الرواية والوقوف على الواقع الحقيقية ، إضافة إلى ذلك تداخل المادة العلمية وصعوبة فرزها.

وان كان لابد من كلمات شكر والامتنان لكل من ساعد في انجاز هذا البحث فان يلزم علينا أن اشكر الله عز وجل في كل خطوة خطوتها في البحث ، ثم إلى أستاذ المشرف "**محمد عبد اللطيف زعيتري**" إلى الكاتبة صاحبة الرواية "**حفيظة القاسمي**" إلى أعضاء لجنة المناقشة والى كل من مد لنا يد المساعدة سواء من بعيد أو قريب فلهم منا كل الاحترام والتقدير.

المدخل

الرواية التونسية

أولا: نشأة الرواية التونسية.

ثانيا: بدايات الرواية التونسية.

ثالثا: المراحل الكبرى للرواية التونسية.

رابعا: اتجاهات الرواية التونسية.

تمهيد :

تعد الرواية من الأشكال الأدبية التي تحظى بشعبية كبيرة ، وهذه الأخيرة استطاعت أن تحتل أرقى الأماكن مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى وهذا لما تعالجه من قضايا فكرية و اجتماعية.

وقد عرف العالم أولى المحاولات الروائية مؤخرا وكانت بداياتها عبارة عن محاولات بسيطة قصد تسلية القارئ وتعليمه ثم بعد ذلك ظهرت محاولات جادة في كتابة الرواية و يعد جنس الرواية في أقطار المغرب العربي حديث الظهور مقارنة مع دول المشرق العربي، ونخص بالذكر (**الرواية التونسية**) التي نشأت متأخرة نسبيا لكن تطورها كان سريعا عالجت موضوعات عدة منها التاريخية والاجتماعية والعاطفية ، ومن هنا نقف عند نقطة هامة وهي كيف نشأة الرواية التونسية ؟ و ما هي أهم مراحلها ؟

أولا : نشأة الرواية التونسية .

يعد أول مؤثر مهد لنشأة الرواية في تونس هم المؤثر الكامن في الذاكرة والذائقة الثقافيين ، ونعني به المؤثر التراثي وما قدم من اعتبار للحكي (اعتبارا يتجاوز الإمتاع والاستمتاع ، انطلاقا من قصص القرآن ومرورا بالنوادر والحكايات وصولا للمقامات والرسائل الأدبية وحكايات ألف ليلة وليلة والسير التي تجاوزت في أثرها حدود الذاكرة الثقافية لتطور من خلالها الذاكرة الشعبية عبر الأجيال المتلاحقة ...)[1].

هذا جنس الرواية في تونس ظهر نتيجة التأثر بالتراث العربي كقصص القرآن الكريم و النوادر والحكايات إلي يرويها الأجداد و غيرها جعلها سببا مباشرا و ممهدا ومناخا ملائما كبذور أولى لمحاولات في الكتابة التونسية .

كما كان للرحلات أم ما يسمى بأدب الرحلة الأثر البارز في ظهور الأدب التونسي دفع الكتاب إلى ممارسة و كتابة الرواية ، والتي حاولوا من خلالها تسجيل ما شهدوه خلال رحلاتهم إلى بلدان متعددة وعكسوا كل ذلك عند عودتهم من خلال أسلوب أدبي روائي متميز.

كما أن مؤثر الترجمة والاقتباس والاطلاع على الآداب الغربية بلغ أهمية كبيرة في تطور ونمو هذا الفن (هذا المؤثر الأخير موصول بالاطلاع على الآداب الغربية وخاصة المستجد منها من خلال تعريب بعض الآثار وفي وقت متقدم ، وعلى وجه الخصوص ما نشر في الرائد التونسي منذ سنة 1862 من الآداب الايطالية و الاسبانية ، إلا أن ما نشر آنذاك بإرادة فردية لم يتسنى له التواصل ولا الاكتمال لان المستعمر فرض توجها جديدا من أن فرض لغته الفرنسية وحجب التواصل والتفاعل مع غيرها من لغات الغرب وآدابه...).[2]

[1] محمد الجابلي : من افاق الرواية ،قرأة في نماذج من السرد التونسي الحديث ، دار المها ، تونس ، 2012 ، ص 12.
[2] محمد الجابلي : المرجع نفسه ، ص 17.

وما يـميز الرواية التونسية كذلك هو ظهور دور النشر والطباعة في تونس و إنشاء المطابع و الجرائد مما ساعد على ظهور العديد من كتاب الرواية و صدور بعض المؤلفات بالإضافة إلى الصحافة التي دفعت بالكتاب إلى صياغتها بأسلوب سهل بسيط يتناسب مع طبقات المجتمع وجمهور القراء (الممارسة الصحفية التي اضطرت هؤلاء الكتاب إلى صياغة أفكارهم باللغة تتناسب ومستوى الجمهور الذي يقبل على قرأت الصحف ، ويتجلى هذا التطور خاصة في تناسب أسلوب جماعة (الحاضرة) و (النهضة) و(الصواب) وغيرها من الصحف ...خلافا لجريدة (الرائد التونسي) التي كانت تنفق عليها الدولة...).[1]

كما يلعب الحس الوطني والشعور بالقومية والانتماء عامل مهم ومؤثر إيجابي للدفع بالمثقفين التونسيين للتعبير عن انشغالات اهتمامات وخصوصيا وطنه والواقع الاجتماعي بكل قضاياه ومعاناته .

ثانيا : بداية الرواية التونسية

يختلف الكثير من الأدباء والنقاد حول هذا الموضوع ، إذ يرى البعض أن الأدب التونسي وجد منذ البداية من العصر القديم والتراث العربي كالملاحم والسير الهلالية ...، ويرى البعض الأخر أن الرواية التونسية حديثة العهد في الظهور ، و ما هي إلا شكل أدبي وافد من الخارج .

و يذهب الدكتور **بن جمعة بوشوشة** إلى (إن الرواية التونسية بدايتين :

الأولى : تتحدد زمنيا مع موفى الثلاثينات و مطلع الاربعنيات من القرن العشرين ، وتمثل هذه البداية أعمال **محمود المسعدي** والحقيقة أن **أحاديث أبي هريرة** للمسعدي قد ظهرت فعلا في هذه الفترة و لكنها لم تنشر كاملة في شكل رواية إلا في عام 1973)[2].

[1] مجموعة من الباحثين : تاريخ الادب التونسي الحديث والمعاصر ، المجمع التونسي للاداب و الفنون ، بيت الحكمة ، 1993، ص 28.

[2] صالح مفقودة : أبحاث في الرواية العربية ، منشورات ،مخبر أبحاث في اللغة والادب الجزائري ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص 11.

أما البداية **الثانية** للرواية التونسية في راي الباحث سالف الذر فهي (نهاية الستينات وتجسيدها رواية **الدقلة وعراجينها** للبشير خريف الذي يعد أب الرواية التونسية الحديثة والمعاصرة)[1].

وإذا كانت بداية الرواية التونسية محددة بالتاريخ الذي سبق ذكره فان هناك بدايات و أعمال سابقة في الظهور تحدد وفق مراحل عديدة ساهمت في تطوير الرواية التونسية حتى وصلت إلى مرحلة النضج نذكر منها :(**نص الهيفاء و سراج الليل** للمصلح السويسي القيرواني ، **نص الساحرة التونسية** لمحمد صالح رزقي (1874-1939).كما ظهر نص **نجاة** للأديب محمد رزق عام 1933م)[2]

غير أن هذه المحاولات تتسم بالطابع الوعظي الإرشادي ، وكتابها في الغالب مصلحون اجتماعيون أكثرهم من أدباء ، كمـــا تتميز هذه المحاولات الرائدة بالقصور الفنـــي، الذي يتعذر معه اعتباره بداية حقيقة للرواية ، إنما هي تمهيد لعملية التأسيس.

ثالثا : المراحل الكبرى للرواية التونسية :

1- **مرحلة الترجمة والاقتباس :**

لقد عرف التونسيون كغيرهم من العرب الرواية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين و ذلك بالاطلاع غلى بعض الروايات الغربية و ترجمتها إلى العربية ، الأمر الذي دفع بالرواية إلى الظهور (عكف الكتاب التونسيون على ترجمة العديد من الروايات الفرنسية و الايطالية ...،وتعتبر رواية الهيفاء وسراج الليل أول رواية بتونس وبعد ذلك توالت الترجمات للعديد من الأدباء التونسيون أمثال إبراهيم فهمي بن شعبان الذي اقتبس روايته فضائح المغامرة من شريط سينمائي)[3].

[1] صالح مفقودة : أبحاث في الرواية العربية ، ص 11.

[2] المرجع نفسه ، ص 12

[3] المرجع نفسه ، ص 13

أي أن هذه الرواية تعتبر أول محاولات المترجمة للأدب الغربي و كان الهدف منها الحث على التحلي بالطموحات و تحصيل المعارف وكذا من اجل الدعوة إلى تحقيق الوحدة ويعد صالح السنوسي القيرواني الكاتب الذي تجمع كل المصادر على انه مبتكر الفن الروائي في تونس و مبتدع فن الرواية (فقد انتقل من كتابة المقالات والقصص ..فعرف بمغامراته الأدبية والتطلع للإسهام في هذا الفن من الإنتاج الإبداعي ، سجل لنا أول محاولاته في فن الرواية والتي تبنت نشرها مجلة خير الدين وقدمت لها بمقدمة تدل على أنها أول رواية تونسية تؤلف)[1].

ويلي بعد هذه المحاولات ، محاولات أخرى ارتبطت بالواقع الاجتماعي في البنية التونسية و أحداثها مما جعلها من ضمن الروايات ذات البعد التاريخي إضافة إلى محاولات أخرى اتسمت بالطابع الوعظي الإرشادي ، وكتابها اغلبهم من المصلحين الاجتماعيين ، وليسوا أدباء بالفن كما تميزت كذلك بالقصور الفني ، فهي بهذا المعنى لا تمثل البداية الحقيقية للرواية التونسية و إنما تمهيد مرحلة التأسيس .

2- **مرحلة تشكل الوعي الإبداعي :**

وما يميز هذه المرحلة هو ظهور بعض الكتابات الروائية التي تخلت على كل ما هو تقليدي كالنصوص والموضوعات التي اتسمت بالطابع الوعظي والإرشاد التاريخي ، فلقد بدا الوعي بان الحكي فن قائم الذات وليس عملية تاريخية أو مطية لإلقاء خطبة وعظية أو سياسية خاصة لدى **علي الدوعاجي** (فقد أسهم الدوعاجي بروايتين إحداهما من أدب الرحلة وهي **جولة بين حانات البحر الأبيض المتوسط** أما الثانية فقد أشار إليها **محمد فريد غازي** ووصفها بأنها عمل روائي مرموق لكنها لم تر النور في عالم النشر وهي بعنوان **شوارع الأقدام المخصبة**)[2].

[1] مجموعة من الباحثين : تاريخ الادب التونسي الحديث والمعاصر ،ص 39

[2] محمد جابلي : جذور التحول وآفاق في الروية التونسية ، ص 23

وبهذا نستطيع أن نعد الدوعاجي اللبنة الأوثق في مراحل التأسيس على اعتبار اكتمال صرح بنائها شكلا ومضمونا فيما يمكن أن تنهض عليه الرواية التونسية لاحقا من معالم وخصوصيات .

3- **مرحلة الاستقلال و تشكل البعد الواقعي :**

وهي المرحلة الأهم في الكتابة الروائية التي أصبحت أكثر نضجا من سابقاتها وذلك لعدة أسباب أبرزها تغير الحياة الاجتماعية و الثقافية (اذ يبدو وان فترة النضال قد فرضت نفسها على إبداعات الأدباء ، فتركزت كتاباتهم في قضايا الوطن و المجتمع بغية الإصلاح والاستقلال و الحرية و لا يمكن للأديب أن بعزل نفسه عما يحيط به)[1]. ومعنى هذا أن القارئ لروايات هذه المرحلة يستطيع أن يتعرف على تاريخ تونس خاصة في هذه الفترة التي امتدت من العشرينيان حتى الستينات فكما يبدو أن عناية المثقفين قد انصرفت بكاملها إلى الشأن السياسي في هذه المرحلة (لم تظهر نصوص جديدة إلا غداة الاستقلال ،و تحديدا سنة 1956مع رواية محمد العروسي المطوي ومن الضحايا وهي الرواية التونسية الأولى التي نشرت كاملة في هذه المرحلة ثم أعقبها روايتان ل عبد الحميد منيف سر المعركة 1957 و رواية وأخيرا تزوجتها 1958م) [2].

وهي روايات في مجملها متأثرة بحوادث الاستقلال وروح الكفاح الوطني و الدعاية السياسية.

4- **مرحلة ما بعد الاستقلال :**

تعد فترة ما بعد الاستقلال هي المرحلة الرسمية ، والظهور الفعلي للرواية في تونس والتي صدرت فيها العديد من الروايات التي طبقت على شكل كتب ثم توالت بعدها العديد من الروايات وان لم يكن هذا الكم ضخما مقارنة بما يصدر في بعض الأقطار المشرقية فانه

[1] حسني سيد لبيب و رشيد الذاودي : اتجاهات القصة التونسية القصيرة ، دار الاتحاف للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2000، ص 70.

[2] محمد جابلي : جذور التحول و آفاق في الرواية التونسية ،ص 24.

لم يدرس إلى اليوم دراسة شاملة يحسم فيه على نحو موضوعي بين ما هو عادي و ما هو ردئ فكل من نظفر به في هذا الشأن هو محاولتان تصنيفيتان جديدتان للأستاذ محمد طرشونة (اعتمد فيهما معيار ثنائية التقليد والتجديد ...و هنا محاولة أخرى مخطوطة لمحمد قاضي والاختلاف البين بين محاولتي طرشونة نفسه يدل على مدى صعوبة التصنيف في هذا الباب).[1]

إلى غير ذلك من الكتابات الروائية التي برزت بشكل مكثف في فترة ما بعد الاستقلال فبالرغم من أن ظهورها في البداية كان محتشما إلا أنها حققت البداية الفعلية لهذا الفن الروائي.

ثالثا : اتجاهات الرواية التونسية

من خلال المحاولات الروائية التي ظهرت متسلسلة عبر مراحل يمكن تبين الاتجاهات التالية:

1- الاهتمام التاريخي : لقد اهتم الكتاب التونسيون بالجانب التاريخي في كتاباتهم الروائية من خلال استحضار الشخصيات التاريخية والاهتمام بالأحداث (فهذا النمط من الرواية تعليمي في أهدافه لا يخلوا من تشويق في عرضه للأحداث من خلال شخصيات لها حضور تاريخي أو هي مستندة إلى أحداث تاريخية ، فالاهتمام بالحدث في مثل هذه الروايات أساسي) [2].

وقد ظهرت العديد من الروايات التي مثلت هذا الاتجاه في نطاق الرواية التونسية منها **رواية برق الليل للبشير خريف** هذه الرواية كما يقدمها مؤلفها هي قصة شعبية تاريخية

[1] الرواية التونسية ، الموسوعة التونسية المفتوحة ، نقلا من الموقع:
http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9 .

[2] مجموعة من الباحثين ، تاريخ الادب التونسي الحديث والمعاصر ، ص70.

بطلها برق الليل ، أقحم فيها المؤلف أحداثا تاريخية للتشويق ، فهي تعد علامة بارزة في الرواية التونسية .

أما رواية(الدقلة وعراجينها) للبشير خريف و رواية (يوم من أيام زمرا) لمحمد صالح الجابري و (حليمة) لمحمد العروسي المطوي ، فرغم سعيها لإبراز بعض الفترات التاريخية الحديثة فإن توجهها يبقى اجتماعيا بالأساس .

2- **الاهتمام الوطني** : ينبني هذا الصنف على مفهوم الصراع من أجل التحرر والتعبير عن المواقف النضالية فجعلوا الوطن مركز اهتمامهم في الكتابة الروائية ويأتي محمد العروسي المطوي رائدا لهذا الصنف من خلال رواية (حليمة) و رواية (التوت المر) (الرواية النضالية ظرفية في حياة المجتمع التونسي اقترنت أحداثها بالمرحلة التحريرية ووحدت في جوانب التشجيعية غداة الاستقلال ما ساعدها على البروز بكثافة نسبية عالية وإن كانت تقنياتها تشكو الكثير من الضعف ، وقد أثبتت المراحل الموالية أن مبررات كتابتها تضعف تدريجيا مما جعل نماذجها تتناقص مع مرور الوقت) [1].

3- **الاهتمام الاجتماعي** : تتراوح الرواية الاجتماعية من خلال ما كتب أثناء هذه المرحلة بين التسجيلية وهي الغالبة والنقدية المبطنة وهي قليلة لكن الغالب عليها هو الوصفي التحليلي وان كان يقصر في الكثير منه عن تحليل النفسيات والبني الاجتماعية مما لا يساعد كثيرا على تنمية الحدث الروائي.

والرواية الاجتماعية كما كتبت في هذه الفترة تسعى لإبراز الصراع الاجتماعي أو لنقد اختلال التوازن الطبقي أو الجهوي لذلك نجد من أهم اهتماماتها فحص العلاقة القائمة بين الريف والمدينة وما انجر عن حركة النزوح إثر الاستقلال.

[1] مجموعة من الباحثين : تاريخ الادب التونسي الحديث والمعاصر ،ص 74.

الفصل الأول

ماهية الرواية التاريخية

أولا: مفهوم الرواية التاريخية.

ثانيا : نشأة الرواية التاريخية.

ثالثا: مراحل تطور الرواية التاريخية واتجاهاتها.

رابعا: بين الرواية ورواية التاريخ.

أولا: مفهوم الرواية التاريخية :

1- مفهوم الرواية

لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور أنها مشتقة من الفعل (روى) ويقال رويت على أهلي رية ، وقال ابن سكيت يقال رويت القوم أرويهم إذا استقيت لهم ويقال روى فلان فلانا شعر وإذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه ،قال الجوهري رويت الحديث رواية فأنا روا [1].

و (الروي) حرف قافية ، ومنها الروية في الأمر ، أن تنظر و لا تعجل [2]، كما عرفها الخليل ابن احمد الفراهيدي في كتابه العين : الرواية رواية الشعر والحديث و رجل كثير الرواية والجمع (رواة) [3]

اصطلاحا : تعد الرواية من الأشكال الأدبية التي تحظى بشعبية كبيرة ، و هذه الأخيرة استطاعت تحتل أرقى الأماكن مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى ، وهذه لما تعالجه من قضايا فكرية واجتماعية ، تعددت أنواعها وأغراضها وميادينها حتى أصبح عصرنا بحق عصر رواية بلا منافس .

تنوعت تعاريف النقاد للرواية واختلفت ، فعرفها البعض بأنها (نص نثري تخيلي سردي واقعي غالبا ما يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم ،و هي تمثيل للحياة والتجربة واكتساب المعرفة)[4] ، وعرفها البعض الأخر بأنها نمط من أنماط الفن القصصي يختلف و عن القصة في القصيرة في العديد من عناصرها كالزمان والمكان والشخصيات فهي أكثر شمولا وأطول زمنا مما هي عليه في القصة القصيرة .

فالاختلاف بين هذين الجنسين الأدبيين يكمن في جملة من الفروق حول الحدث و الشخصيات والزمن و الطول والقصر وغيرها ويمكن الاشتراك في العناصر و النشأة و

---

[1] محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفاضل ، لسان العرب مج 6،دار صادرة ، بيروت ، ط1، 2000، ص 271.

[2] المصدر نفسه ،ص272.

[3] خليل ابن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ، تح وتر عبد الحميد هنداوي ، ج2 دار الكتاب العلمية ،بيروت ،لبنان ، ط1، 2003، ص165.

[4] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ط1 ، 1980، ص99.

إضافة إلى التعريف الذي قدمه عبد المالك مرتاض الذي اعتبر الرواية في عصرنا الحاضر هي (نص أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول كاللغة والشخصيات والزمن والمكان والحدث يربط بينهما طائفة من التقنيات كالسرد والوصف والحبكة والصراع لتصل إلى نهاية مرسومة بدقة متناهية وعناية شديدة)[1].

ويعرف الخطاب الروائي (بأنه بنية لغوية دالة وهو تشكيل لغوي سردي دال ،يصوغ عالما موحدا خاصا تتنوع وتتعدد وتختلف في داخله اللغات والأساليب والأحداث و الأشخاص والأصوات والعلاقات والأمكنة والأزمنة ، دون أن يقضي هذا النوع والتعدد والاختلاف على خصوصية هذا العالم ووحدته الدالة)[2].

و يمكننا إذا تعريف الرواية بأنها جنس أدبي نثري سردي خيالي ،يربط بين عناصر الحدث والشخصيات والزمان والمكان فيه لغة شعرية ذات بعد إنساني .

2- مفهوم التاريخ :

لغة : تعددت آراء العلماء في تفسير كلمة التاريخ واشتقاقها ، غير أن كل الآراء تعني بان (التاريخ هو الإعلام بالوقت ، يقال أرخت الكتاب و وأرخته ، أي بينت وقت كتابته .و قيل انه معرب من الكلمة الفارسية **ماه روز** ، و **ماه** تعني القمر ، **روز** تعني اليوم وكأن الليل والنهار طرفه ، وقيل أن التاريخ مشتق من **ياريخ** العبرية ومعناها القمر ، **و يرخ** معناها الشهر).[3]

كما جاء في أيضا لسان العرب لابن منظور أن (التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله، أرخ الكتاب ليم كذا : وقته)[4] .فالعرب لم تعرف علم التاريخ إلا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ (إن التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض ، وان

---

[1] عبد المالك مرتاض ، في نظرية (بحث في تقنيات السرد) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب د ط ، 1998، ص 24-23

[2] محمود أمين العالم ،البنية والدلالة في القصة العربية المعاصرة ، دار المستقبل ، دار المستقبل العربي ، مصر 1994 ، ص 24 .

[3] محمد بن عبد الرحيم السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ،دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ص 17

[4] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب ، ص

المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب ، وتاريخ المسلمين أرخ من زمن هجرة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كتب في خلافة عمر رضي الله عنه : فصار تاريخا إلى اليوم) [1].

اصطلاحا : إن التاريخ عبارة عن فهم الماضي ،لإفادة ،الحاضر ، و التخطيط للمستقبل ، وقد عبر السخاوي عن هذا المعنى (إنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيف ، بل عما كان في العالم).[2]

وعرفه ابن خلدون (التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم ، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش و التآنس ، والعصبيات ، و أصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشا عن ذلك من الملك والدول و مراتبها وما ينتحله البشر ومساعيهم من الكسب والمعايش والعلوم والصنائع ،و سائر ما يحدث من ذلك العمران من أحوال) [3] والتاريخ عنده أيضا (في ظاهره لا يزيد على الأخبار عن الأيام و الدول ،والسوابق من القرون الأولى ، تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال وتؤدي إلينا شان الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع لدول فيها النطاق و المجال ...).[4]

وهكذا يعرف ابن خلدون التاريخ بأنه في حقيقة أمره نظر وتحقيق ، تأمل ودراسة وفحص مختلف أوجه النشاط البشري فيما مضى العصور قصد رصد أسباب الظواهر التاريخية المختلفة، ومحاولة كشف جوانب العلاقة السببية في طيات الأحداث التاريخية ،ورصد بدايات الأحداث ومعرفة أصوله

3- مفهوم الرواية التاريخية :

تعد الرواية التاريخية أحد أهم أنواع الرواية بشكل عام ،وقد تعددت تعريفات النقاد العرب والأجانب لها ،إلا أنها تتفق جميعا في النص على اعتمادها على التاريخ كمادة أساسية للعمل الروائي، ويمكنا التميز بين نوعين من التعريفات ،يتمثل النوع الأول في تناول

[1] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب ، ص

[2] محمد بن عبد الرحيم السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص100.

[3] ابن خلدون، مقدمة ، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1،2010 ، ص33.

[4] المصدر نفسه، ص 09.

التقليدية للرواية التاريخية ،والذي يحرص على الأمانة في نقل الأحداث التاريخية وعدم تزيفها ، أما النوع الأخر فيتمثل في التناول الحداثي والجديد للتاريخ حيث تستعمل الرواية التاريخ كمادة خام لنقلها أو إعادة صياغتها ، ولكن لتحقيق أهداف روائية لا تتحقق إلا بها .

ومن أهم التعريفات التي تمثل الجانب التقليدي للرواية التاريخية تعريف معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة للرواية التاريخية بأنها (سرد قصصي يرتكز على وقائع تاريخية تنسج حولها كتابات تحديثية ذات البعد إيهامي معرفي وتنحوا الرواية التاريخية غالبا إلى إقامة وظيفة تعليمية وتربوية)[1]. وجاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب تعريف أخر للرواية التاريخية فهي (سرد قصصي يدور حول حوادث تاريخية وقعت بالفعل وفيه محاولة لأحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين أو خياليين أو بهما معا)[2].

ومن تعريفات الرواية التاريخية القديمة والتقليدية أيضا تعريف **جوناثان فيلدا j.field))** الذي يرى أن "الرواية تعتبر تاريخية عندا تقدم تواريخ وأشخاص وأحداثا يمكن التعرض أليهم[3] فهو يشرط في الرواية التاريخية وجود تواريخ وشخصيات وأحداث كي تكون لونا أدبيا.

وقد بين **ستودارد(Stoddard)** (أن الرواية التاريخية تمثل سجلا لحياة أو لعواطفهم تحت بعض الظروف التاريخية)[4] وهذا تعريف مغاير لما قدمه فيلدا فالرواية أو القصة التاريخية هي تسجيل بحياة الإنسان ولعواطفه ولانفعالاته في إطار تاريخي.

فالرواية التاريخية ليست حديثا في الزمن الماضي ، بل هي رواية تستحضر ميلاد الأوضاع الجديدة ،وتصور بداية ومسار وقوة دافعة في مصير لم يتشكل بعده وتقوم على استخلاص فردية الشخصيات من الطابع التاريخي الخاص وهي عند جورج لوكا تش(رواية

[1] سعيد علوش ، معجم المصطلحات العربي المعاصرة ،دار الكتب اللبناني ، بيروت،1985 ،ص 103.

[2] مجدي وهبة وكامل المهندس معجم المصطلحات العربية في اللغة الأدب ،مكتبة لبنان ،ط1 ،2002،ص

[3]نضال الشمالي ،الرواية والتاريخ جدارا للكتاب العالمي لنشر والتوزيع ،عمان ،ط1 ،2006، ص113.

[4]جورج لوكاتش ، الرواية التاريخية ، تر صالح جواد الكاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، ط2 ، 1976،ص46

تثير الحاضر ، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق لذات)[1] لكنها ليست إعادة كتابة للتاريخ بل (الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث ، وما يهم هو أن نعيش مرة أرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدت بهم إلى لان يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلو ذلك تماما غي الواقع التاريخي)[2] رأي يقر من خلاله **لوكا تش** إن الرواية التاريخية نبش في الماضي لتحليل الحاضر ومحاولة فهم ظروفه ، فهي تفاعل بين الروح التاريخية والأنواع الأدبية تفاعل ما خفي سابقا وما غمض لاحقا .

و **ألفرد شيبا رد** :**Alfred sheppara**يعرف الرواية التاريخية بقوله : (تتناول القصة التاريخية الماضي بصورة خيالية، يتمتع الروائي بقدرات واسعة يستطيع معها تجاوز حدود التاريخ، لكن شرط أن لاستقر هناك لفترة طويلة، إلا إذا كان الخيال يمثل جزء من البناء الذي سيستقر فيه التاريخ)[3] ويتضح من خلال هذا القول، أنه يجب على الروائي عدم التقيد بما جاء في كتب التاريخ؛ بحيث يطلق الفنان لخياله، فيعيد صياغتها بصورة فنية جديدة تختلف عما جاء في التاريخ .

أما **بيوكن Buchan:** فإن الرواية التاريخية لديه (تحاول إعادة تركيب الحياة في فترة من فترات التاريخ)[4] ؛ بمعني أن الرواية التاريخية عنده هي الرواية التي تختص بفترة تاريخية محددة يعمل الروائي على إظهارها في قالب إبداعي جديدة بعيدا عن السطوة الوثائقية.

ومن بين التعاريف العربية لمفهوم الرواية التاريخية نذكر :

عبد القادر القط: والذي يحددها بقوله : (الرواية التاريخية هي ذلك الجنس الأدبي الذي يستلهم من التاريخ مادة له تصاغ في شكل فني يكشف رؤية الفنان، لذلك التفت إليه التاريخ

---

[1] نضال الشمالي ،الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)،عالم الكتب الحديث ، الأردن ،ط1،2006،ص 112.

[2] المرجع نفسه ،ص112

[3] نضال الشمالي ، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)،ص 113.

[4] المرجع نفسه ، ص 113.

ويصور توظيفه لتلك إذا الرواية تعبير عن تجربة من تجاربه أو معالجة قضية من قضايا مجتمعه متخذا من التاريخ ذريعة للتعبير عن موقفه منها)[1].

يتضح من خلال هذا أن الرواية التاريخية تعتمد على المادة التاريخية، فتكون بمثابة ركيزة لها لبناء متنها الحكائي . بأسلوب فني جديد. فيربطه بالحاضر. وهذا من أجل توصيل رسالة معينة.

سعيد يقطين: يعتبر الرواية التاريخية عملا سرديا يرمي إلى (إعادة بناء حقيقة من الماضي بطريقة تخيلية، حيث تتداخل فيها شخصيات تاريخية مع الواقع ... وشخصيات متخيلة) [2].

يبين "سعيد يقطين" من خلال هذا أنه على الكاتب اللجوء إلى الصيغة الخيالية، التي تضم التاريخ في جو المتعة في القراءة على عكس إذا نقل التاريخ حرفيا، فهذا يسئ إلى العمل السردي .

نلاحظ من خلال هذه التعاريف أن هناك تشابه في تعريف الرواية التاريخية بين الباحثين العرب والغرب وذلك لاعتبار تأثر العرب بالغرب .

- لغة الرواية التاريخية:

يأخذنا الحديث عن اللغة الموظفة في الرواية التاريخية إلى افتراضات خاطئة غالبا إذا لم نحسن التمعن فيها، إذ على الروائي أن لا يبالغ في استخدام لغة من الزمن الذي يصف أحداثه ، بل عليه التودد فقط إليها، ذلك إن قارئه من زمنه هو وربما الأزمان من بعده في حالات الرواية العظيمة ، وبالمختصر على الروائي استخدام لغة معاصرة حتى لو كانت تعالج مرحلة زمنية ضاربة في القدم ، (لأن استلهام لغة الحكاية من زمنيها قد يقطع الوصل بين المتلقي والمرسل . وهذا يفقد اللغة وظيفتها التواصلية والتفاعلية)[3] وهذا لأن بين المرسل والمتلقي الكثير من الخبايا التي على الثاني استنتاجها بنفسه عن الأول من غير

---

[1] نضال الشمالي ، الرواية والتاريخ، ص 117.

[2] سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديد (الوجود وحدود) ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،الرباط ،المغرب ،ط1 ، 2012، ص 59.

[3] نضال الشمالي ، الرواية والتاريخ ، ص 132.

مساءلة مباشرة ،فما يعلمه الروائي ليس بالضرورة أن يكون القارئ على اطلاع به، ولأن القراءة متولدة على المبدع إن يجيد اختار لغته ، ليضمن بلوغ هدفه ، وبالأكيد هو تعدد القراءة تلك. على أن لا نعدم وجود روائيين يتعمدون استخدام تقنيات لغوية تزامن ما يخيِّلون من فترات تاريخية ،هدفهم في ذلك الإيحاء بالتعامل مع المادة تراثية ،ومنهم من (يغذي روايته بجملة من التعابير التراثية التي لا تزيد عن اللغة المعاصرة الشائعة فيوهمنا أننا أمام عمل نفِّذ في زمانه)[1]. وهذه تقنية تجعل من العمل الروائي لغزا يحير قارئه ويدخله في متاهة زمنيه يخرج منها مع الصفحة الأخيرة محملا بإحساس الانتماء لتلك المرحلة من التاريخ .

ثانيا: نشأة الـــــرواية التاريخـيــة.

1- فـــي الأدب الغـربـــــي : تعد الرواية التاريخية أكثر أنواع الرواية رقيا، فهي تسمو بموضوعاتها لتحقيق أهداف ذات أهمية بالغة، إذا تسعي لإحياء بعث ماضي تلد لقراءة الحاضر والمستقبل ويكاد يجمع أغلب نقاد نظرية الأدب أن هذا الجنس الروائي، يعتبر دخيلا على تأجيله ببعث الماضي، والتراث العربي لكنه في الواقع الأمر يجاري الموضة الغربية الأوربية، التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر)[2] ، وتعتبر بعض الأعمال السردية التراثية كالملاحم والقصص الفروسية مقدمات للرواية التاريخية التي كان يرويها العرب آنذاك، وبالتالي فتلك المحولات الأولية للقصة التاريخية في الأدب الغربي والعربي، لا تلقى أي أهمية لانعدام العناصر الفنية للفن القصصي أو الروائي)[3].

ويقول **جورج لوكاتش** أن الرواية التاريخية كانت بعد سقوط **نابليون بونابرت** بقليل ويرى أن هناك أعمال تمتد لحقب اسبق وأعمق في التاريخ ،وانه يعتبر(أعمال القرسطية المعدة عن الأدب الكلاسيكي أو الأساطير مقدمات لنشأة الرواية التاريخية)[4].

---

[1] نضال الشمالي ، الرواية والتاريخ ، ص 133.

[2] سليمة بالنور ، الرواية التاريخية بين التأسيس والضرورة ، المجلة الثقافية ، نقلا عن الموقع http://wwwoudnad.net، 15/03/2020، 11 :00h .

[3] نضال الشمالي ، الرواية والتاريخ ، ص 112.

[4] جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ص 11.

وهناك من ينسب الرواية التاريخية الحديثة ، للكاتب الأمريكي"**ستيفن كرين**" صاحب الرواية "شارة الشجاعة الحمراء"، لكن من المؤكد أن **ألبير ولتر سكوت** هو واضع أساس الرواية التاريخية الفنية ، ومعظم الذين جاءوا وبعد أن اهتدوا بهدية وضربوا على قالبه، وكانوا من تلاميذه. وأتباعه (وقد أصبح سكوت في الحقيقة احد كتاب عصره الأكثر شعبية وقراءة على الصعيد العالمي والتأثير الذي مارسه في كامل الأدب الأوربي لأحد له)[1].ومما هيأ هذه المكانة براعته في السرد، وثقافته في القديم .

وتعد رواية **ويفر لي** " لوا لتر سكوت " الصادرة في **1814** أول رواية تاريخية تستدعي زمناً ماضياً التي أعقبها بعدد أخرمن الروايات التاريخية مستوعبا فيها التاريخ الاسكتلندي خاصة والانجليزي والأوربي عامة ، على ذلك يمكن القول أن الرواية التاريخية الحديثة قد تجلت معالمها عند **والتر سكوت** الذي اعتنى بالخلق والخيال والإبداع داخل الإطار التاريخي فكانت ذلك تمهيد الإعمال روائية أخرى ،أولهم كاتب الرواية الفرنسي **الكسندر دوماس (الفرسان الثلاثة 1844) وبلزك (ثائرون1829)** الذي يعترف بفضل **سكوت** في مجال الرواية التاريخية من خلال تقريب الماضي ألينا، والذي أضاف(للرواية التاريخية ما يسمى، وصف تاريخ العادات، حيث أصبح هو المجتمع، وبهذا يريد أن يسمو بالرواية إلي القمة التاريخية الفلسفية)[2].

وقد قسم د. **محمد يوسف نجم** أطور الرواية التاريخية في ثلاث مراحل :

- طور الإحياء التاريخي ،أي تفسير التاريخ من الخارج من خلال الحملات و المخاطرات والمبارزات والأسلحة وخير ما يمثل هذه القصص سكوت وتلميذه دوماس
- طور التفسير العقلي: ويمثله **ليتون وايبرس** ، وهو تقديم الحقيقة في إطار العقلي القصصي ولا يعد هذا الاتجاه عمل فنيا لخلوه من البنية أدبية روائية

[1] نواف أبو ساري، الرواية التاريخية ، (مولدها وأثارها في الوعي القومي العربي العام)رواد و روايات تحليلة تطبيقية نقدية بهاء الدين للنشر و التوزيع ، قسن طينة ، جزائر ، 2003، ص27.

[2] سليمة بالنور ، الرواية التاريخية بين التأسيس والضرورة ، المجلة الثقافية ، نقلا من الموقع http://wwwoudnad.net ،15/03/2020، 11 :00h

- طور التفسير الإنساني العاطفي : أي تفسير التاريخ من الداخل ،من خلال العواطف الإنسانية الخالدة واستمرارها عبر العصور[1].

2- في الأدب العـــــربي:

يعد سليم البستاني رائد الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، وأول من حاول محاولة كبيرة كتابة هذا اللون من القصة .

"لقد اختار البستاني لرواياته أكثر اللحظات درامية ، وبطولة في مختلف عصور التاريخ العربي ،فكتب مثلا عن (الصراع بين ملكة تدمر شبه الأسطورية زنوبيا)(والإمبراطورية الرومانية) ، وعن فتوح الشام في صدر الإسلام في (الهيام في فتوح الشام) وعن الانقلاب العباسي وهجرة الأمويين إلى الأندلس في) بدور(، وكان للبيئة المتنورة التي ارتبط بها البستاني طيلة حياته أثر كبير في تحديد أسلوبه في معالجة التاريخ معالجة تحقق الفائدة للقارئ.

وهكذا نري أن البستاني قد وضع عن عمد مخططا عقلانيا محددا لبناء الرواية التاريخية يساعده في الوصول إلى أهدافه من الكتابة[2]وقد سار جورج زيدان على هذا الدرب، ولكنه اقتصر من المعارف على مجال التاريخ وجعله مقفرا يمكن الأدب من تقبل الرواية، ويمكن أن ترجع هذه النزعة إلى:

1. إن للقصة المتصلة بالتاريخ أصول بعيدة في تراثنا فقد عرفت منذ القديم من خلال قصص عنترة، وسيف بن ذي يزن ، وما هو من نوعهما، وعرفت على وجه الخصوص في القصص الشعبي من قبيل حمزة البهلوان، والزير سالم .

2. إن الاهتمام بالتاريخ العربي الإسلامي قد مثل وجها من وجوه إحياء التراث ، سيطر خاصة في الربع الأخير من القرن الماضي ، على أساس مقاومة الذوبان في غرب متقدم

[1] حسن سالم هندي إسماعيل ، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث (دراسة في البنية السردية 1939-1967)راد الحامد للنشر والتوزيع ،عمان الأردن ، ط1،2014،ص 24.

[2] فؤاد مرعي ،في تاريخ الأدب العربي الحديث الرواية والمسرحية ، مديرية الكتب والمطبوعات ، 1998ص 32.

عدا عدوانيا وبإعادة التاريخ أمل المصلحون، والإحيائيون، ومن دار في فلكهم من ممارسي الرواية تجاوز الشعور بالانحطاط.

(إن جورجي زيدان ملم بالتاريخ فمن الطبيعي أن يرتاح إلى ممارسته في نتاجه القصصي وأن يحاول نشره بين طوائف كبيرة من القراء ، الذين لا يتيسر لأغلبهم مجال التاريخ صرفا)[1] نقل الرواية التاريخية خطوة إلى الإمام من محاولة فردية قائمة على التسلية والترفيه إلى رواية ذات الهدف التعليمي الإصلاحي ، ومهما يكن من أمر حرجي زيدان ورواياته فله مكانة في سعيه إلى تثبيت جذور الرواية التاريخية العربية وتقديمها للقرء في أنموذج خالي من التكلف.

كما أن روايات **جورجي زيدان** واجهت العديد من الانتقادات لافتقادها للحقيقة التاريخية، إلا أنها نالت العناية من بعض الكتاب والدارسين، ما لم ينله كتاب آخرون أبدعوا في الرواية التاريخية.[2]

وقد تأثر بجورجي زيدان **احمد شوقي** (1870-1932)الذي ساهم في مجال الرواية التاريخية بمجموعة من الإعمال النثرية كان أهمها **ورقة الأس 1905** وهي تتفق مع روايات زيدان في بناء الحدث ورسم الشخصية ،وكجزء من تأثير تيار التعليم والتسلية ظهرت محاولات فردية أخرى في ميدان الرواية التاريخية ومنها محاولة **محمد فريد أبي جديد (ابنة الملوك)1929(** وهي لا تعدو أن تكون محاولة تقليدية لمنهج زيان في كتابة الرواية التاريخية)[3]. لكن نجد معروف الارناؤوط استثناء في كتابة الرواية التاريخية إذا تبعد عن تيار التسلية والترفيه ليتخذ له تيار قوميا وطنيا عبر توظيف التاريخ توظيفا رمزيا في رواياته إحساسا منه بالمرحلة الحرجة التي كانت تعيشها الأمة العربية تحت قهر الاستعمار[4].

---

[1] الصادق قسومة ، الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث ، عين مركز الدراسات النشر الجامعي ، تونس ، 2000، ص 89-90

[2] سليمة بالنور ، الرواية التاريخية بين التأسيس و الضرورة ،الموقع السابق http://wwwoudnad.net 15/03/2020 ، 11 :00h

[3] حسين سالم هندي إسماعيل ، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ، ص 35.

[4] المرجع نفسه ، ص 38.

فكتب عدد من الروايات التاريخية صور فيها الأزمنة المشرقة من تاريخ الأمة العربية .

كذلك نلمس الرواية التاريخية عند **على احمد بالكثير** الذي اتجه إلى التاريخ الإسلامي في أوطانه المتعددة فألف **(واس لاماه)** و **(الثائر الأحمر)** و**(سيرة شجاع)** وانطلق في المواقف التي تحتوي على صراعات ليدير حركتها بمهارة فائقة تعكس هذه الحركة ،وقد عده النقاد الامتداد المتطور لفن أدبي جديد ،ففي (رواية الأولى (إسلاماه) يتناول المؤلف حقبة من الزمن كانت ذات اثر عظيم في تاريخ مصر والشام وهي الحقبة التي نشط فيها التتار والصليبيون في أواخر عهد الدولة الأيوبية وبداية عصر دولة المماليك)[1] ، إذ كان الكاتب قد نجح إلى حد كبير في إثارة الحاضر من خلال الماضي في هذه الرواية .

وبعد ذلك ظهرت روايات **نجيب محفوظ** التاريخية التي جسدت لمحات من التاريخ في ثلاثة من أعماله هي **(عبث الاقدار1939)** ، **(راد وبيس 1943)** ، **(كفاح طيبة 1944)** وقد شكلت هذه الروايات الثلاث تقدما ملحوظا في نهضة الرواية التاريخية.

(فهذا **نجيب محفوظ** في روايته التاريخية الأولى عبث الأقدار **1939** حاول أن يحمل روايته معنى رمزيا وان يجعل منها وسيلة لتعبير عن الشعور بالضياع في مصر الحديثة إبان عهد المحتل)[2]. حيث نلمس التأكيد على الشخصية الوطنية وجذورها التاريخية استجابة لحركة الاستقلال .

أيضا نجد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إقبالا واضحا على القصص التاريخية ومهد لذلك مؤلفو المسرحيات التاريخية و مترجموها وكان لمشاركة **مارون النقاش و خليل اليازجي وسليم النقاش** في التأليف وجهود **نجيب حداد** وغيره في ترجمة المسرحيات التاريخية الأثر كبير في حركة القصص التاريخية والتي واكبت حركة المسرح من خلال **مارون النقاش** الذي ألف مسرحية **عن هارون الرشيد وخليل اليازجي** ألف مسرحية **(المروءة والوفاء)** مستمدا حوادثها من التاريخ الإسلامي.

---

[1] شفيع السيد ، اتجاهات الرواية العربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط3، 1998، ص

[2] حسن سالم هندي إسماعيل ، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ،ص 39.

وغيرهم كثير إذ شهدت هذه الحقبة المبكرة في تاريخ الأدب العربي انفتاحا تاما على القصص العالمية وكان للقصة التاريخية النصيب الأوفر من الأعمال المترجمة مما جعل حركة الترجمة واحدة من أسباب التي أسهمت في نشأة الرواية التاريخية .

ويعزز بعض الباحثين هذا الاهتمام بالتاريخ إلى سهولة المادة التاريخية في الرواية والقصة لان التاريخ يقدم مادة جاهزة من حيث الشخصيات والأحداث [1] . وهكذا اعتبرت الرواية التاريخية عن التيارات الفكرية المختلفة والتي كان يموج بها الواقع وارتبطت بمرحلة الازدهار والنهضة الأدبية ، وشهدت أواخر الثلاثينات ثم الأربعينات من القرن العشرون فيضا من الأعمال الأدبية لكتاب عرب صوروا فيها التاريخ العربي والإسلامي تصويرا فنيا جديدا.

وتتدرج في سياق الرواية التاريخية على مستوى الأردن، وفلسطين(مارس يحرق معداته) لعيسي الناعوري ، (ووجه الزمان) لطاهر العدوان، (الزوبعة)، (وأبناء القلعة) لزياد قاسم، (بحيرة وراء الريح) ليحي يخلف، و(أيام الحب والموت)، و(العشاق) لرشاد أبو شاور، إلا أن هذه الروايات مزيج من الرواية التاريخية، والرواية الاجتماعية ، ثم(دفاتر الطوفان) و(القرمية)، و(شجرة الفهود) لسميحة حريس، و (الشهبندر) لهاشم غرايبة ، ورواية (الخروج من سوسروقة) ، و (سوسروقة خلف الضباب) لزهرة عمر عن ملحمة الشتات الشركسي[2] ومن الروائيين من يصبو لذلك، فواسيني الأعرج يؤرخ لفترة الأزمة الجزائرية، بروايات منها (شرفات بحر الشمال)، و(ذاكرة الماء). ورغم قرب الفترة الزمنية التي يؤرخها، فقد بحث في تاريخ الجزائر العريق واستنبط منه أعظم شخصية قاومت الاستعمار الفرنسي وآمنت بالتفاوض: شخصية الأمير عبد القادر، فكتب الأعرج عنها رواية كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد) في 2005 .

[1] حسن سالم هندي إسماعيل ، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ، ص 39.

[2] طه وادي :مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية :مصر 1997،دار النشر للجامعات ،ص95

ثالثا : مراحل تطور الرواية التاريخية، واتجاهاتها.

1- مراحل تطور الرواية التاريخية :

المرحلة الأولي:

مرحلة تسجيل التاريخ سرديا، مع محاولة التقيد، ولو من بعيد بمجرياته لغايات علمية، كما ظهر ذلك في روايات جورجي زيدان.

*** المرحلة الثانية:**

مرحلة الموازنة بين ما هو تاريخي، وما هو فني فالتاريخ يسكب في قالب روائي واضح المعالم، ويحقق أهدافه، ويستعرض وجهة نظره، كما ظهر في روايات نجيب محفوظ.

*** المرحلة الثالثة:**

مرحلة استثمار التاريخ استثمار اسقاطيا، واعيا يرتهن التاريخ فيه إلى ما هو فني بالدرجة الأولي، وفيه يتهيأ التاريخ قناعا، والروايات التي سارت على هذا النهج تسعي جاهدة إلى تفسير الواقع المعيش من خلال الماضي المنقرض، الذي يمكن أن يعيد نفسه لكنها تهرب إلى فترات مشابهة للحظتها الحاضرة فتقوم بما يسمي بالإسقاط التاريخي، كما لمسنا ذلك لدي جمال الغيطاني في(الزيني بركات)، و رضوى عاشور في (ثلاثية غرناطة) ، وعبد الرحمان منيف في (أرض السواد)[1] .

2- اتجاهاتها :

لقد اختلفت اتجاهات الرواية التاريخية من أديب إلى آخر حسب الهاجس، الذي يدفع كل واحد منهم لكتابة هذا النوع من الرواية، ولذا اتخذت الكتابة التاريخية اتجاهات عدة في مجال الرواية العربية، وهي :

- الرواية العربية التي تحرص على سرد التاريخ، والحفاظ على حقائقه بغية تقديم دروس في التاريخ.

[1] نضال الشمالي ،الرواية والتاريخ ، ص 122-123.

- الرواية التي تعالج الحاضر وقضاياه من خلال التاريخ يشكل من أشكال إسقاط الحاضر على الماضي بمعني استدعاء التاريخ قصد المساءلة .
- الرواية التي تفسر التاريخ تفسيرا جديدا، فتعي بنائه وفق منظور جديد، ورؤية جديدة.
- الرواية التي تحور كثير ا في وقائع التاريخ، وتصطنع فيه شخصيات، وحوادث وفق رؤى جديدة ولا يكون التاريخ بالنسبة إليها سوي أرضية تعمل فيها .
- الرواية التي تصطنع مناخا تاريخيا لا يستند إلى وثائق، أو حقائق ، أو معطيات تاريخية إنما يوحي بالتاريخ، ويشير إليه من بعيد، ويشير الإحساس به فقط[1].

3- شروطها وأهميتها.

أ- شروطها :

للرواية التاريخية عدة شروط نذكر منها:

1. أن تعتمد حقبة موثقة من التاريخ تكون مادتها الحكائية.
2. أن يعيد الروائي تشكيل هذه المادة تشكيلا روائيا فنيا.
3. أن تكون إعادة التشكيل ضمن منظور آني يربط المادة الحكائية الماضوية بالحاضر وهناته.
4. أن ينطلق الروائي في مادة كتابته هذه المادة الحكائية من وجهة نظر تخصه لغايات متعددة
5. إن الروائي ملتزم في كل الحالات بالخط التاريخي العام، وخصائص العصر الذي يصوره وملامحه، و تقاليده، وعدم الخروج عليها، وتزييفها .[2]

ب- أهمية الرواية التاريخية :

إن الرواية التاريخية لا تقل أهمية عن غيرها من الأنواع الروائية الأخرى إذ تحظى بأهمية كبيرة كونها :

[1] أحمد زياد محبك ،متعة الرواية دراسة نقدية ،ط1 ،دار المعارف ، لبنان ، 2005،ص 51.

[2] نضال الشمالي ، الرواية و التاريخ ، ص 117.

1إضافة إلى هدفها التعليمي فهي تهدف إلى تسلية القراء ، وتفكههم بأحداث مشوقة وأخلاق تنطوي على قيم نفعية.

2- فالمؤرخ لا يكفيه تقرير الحقيقة التاريخية الموجودة، وإنما يوضحها، ويزيدها رونقا من آداب العصر وأخلاق أهله، وعاداتهم حتى يخيّلُ إلى القراء أنه عاصر أبطال الرواية وعاشرهم، وشهد مجالسهم ، ومواكبهم واحتفالاتهم.

3- يقول جورجي زيدان في مقدمة روايته الحجاج بن يوسف: (فالعمدة في روايتنا على التاريخ ، إنما نأتي بحوادث الرواية تشويقا للمطالعين)[1] .

4 - يوفر التاريخ للمبدع مادة جاهزة تسهل عليه عملية التأليف، ويستطيع تشكيلها، وتكوينها وفق رؤيته وغرضه، وهذا أقل جهد من إبداع حوادث، وشخصيات، وأماكن، وأزمان .

5-يمنح التاريخ للمؤلفين مادة لا تنصب، فالتاريخ العربي واسع الامتداد غني بالحوادث وهو قابل لإعادة التأويل، والتفسير، وإعادة الإنتاج، والبناء، والتركيب، والتأليف أو ما يشبهه، أو يشير إليه.

6- الرواية التاريخية يصح الاعتماد عليها مثل أي كتاب من كتب التاريخ، إذ به يجيب عن استفسار من قارئ خامره الشك في التمييز بين الأمور الحقيقية والخيال ، وعندنا أن الرواية التاريخية تعظم قيمتها كلما عسر التمييز بين حقائقها التاريخية، وحوادثها الوهمية، وقد علمنا بالاختبار أن من الوسائل المشوقة للمطالعة ، أن لا يميز المطالع بين حقائق الرواية التي يطالعها، وبين أوهامها[2] .

رابعا : بيـن الرواية ورواية التـــاريخ.

1- بين الرواية التاريخية و رواية التاريخ :

الرواية التاريخية هي لون من ألوان الرواية تبدو ذات طبيعة مركبة لأنها جمعت بين أمرين هما الرواية والتاريخ ، وأية محاولة لتعريفها لا تخرج في عمومها عن هذين المفهومين للعلاقة الجدلية التي تربطهما ، فالرواية التاريخية تبنى حكائيا على المادة التاريخية تقنات

[1] السعيد بيومي الورقي ، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، دار المعارف الجامعية ، القاهرة ، ص 32-33.

[2] فيصل دراج ،نظرية الرواية والرواية العربية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط1، 2004، ص132.

منها تختزل و تتصرف فيه أي أنها تقدمها بطريقة إبداعية ، وما من شك أن أغلب النقاد والدارسين الذين حاولوا البحث فيها لجأوا إلى المقارنة بينها وبين رواية التاريخ وبين الذين أشاروا إلى هذه النقطة نجد **سعيد يقطين** في مؤلفه **قضايا الرواية العربية الجديدة** حيث (جعل السمة الفاصلة بين النمطين هي الحقيقة والخيال ،فكلما كان السرد التاريخي /رواية التاريخ ميالا إلى الحقيقة و سرد الأحداث التي يمكن التحقق من واقعيتها أي مطابقتها للوقائع كانت الرواية التاريخية ألصق بالتخيل و الإبداع السردي)[1].

فالرواية التاريخية من عمل الروائي أو الأديب تبدو فيها الذاتية و الخيال واضحان للعيان بينما رواية التاريخ من عمل المؤرخ و تبدو فيها أو ينبغي أن تبدو فيها الموضوعية والواقعية وهما من عناصر التكوين الرئيسية في العرض التاريخي.

(الرواية التاريخية لا تعنى بتقديم التاريخ للقارئ بالدرجة الأولى ،لان وثائق التاريخ كفيلة بأداء هذه المهمة ، و إنما تكمن قيمتها في مدى براعة الكاتب في استغلال الحدث التاريخي)[2] فالرواية أو التاريخ في الأدب يختلف عن التاريخ عند المؤرخين .(فهؤلاء يعطون صورة موجهة وغائية للأحداث التي يعرضونها ،و يدخلون الوقائع و المسارات التي يصفونها في منطق تفسيري ،الأدب لا يقول التاريخ بل يقيم معالم له و ينشئ من الوقائع عالما لاتهم الكرونولوجيا فيه بقدر ما تهم الجذور و الشرائح الداخلية والسمات الدالة).[3]

2- بين الروائي و المؤرخ :

يعتبر التاريخ مصدرا هاما في الرواية التاريخية أي أنها تستقي مادتها الحكائية منه ، فلا مناص أن الروائي /كاتب الرواية التاريخية يتقاطع والمؤرخ في نقطة مشتركة هي العودة إلى الماضي ،إلا أن لكل منها هدف متباين عن الأخر من خلال هذه العودة ، فإذا كان هدف المؤرخ هو ملامسة الحقيقة ، فإن مسعى الروائي هو ملامسة الجمال والتأثير في النفوس

[1] سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة –الوجود والحدود-،ص 195

[2] شفيع السيد ، اتجاهات الرواية العربية ،ص 28.

[3] عبد الرحيم الحسناوي ، السرد التاريخي و السرد الروائي (بحث في مستويات الخطاب)، مجلة العاصمة ، المجلد التاسع، 2017 ، ص 43.

وجذب القارئ وتشويقه (فالأديب عندما يتناول حدثا أو شخصية تاريخية يجد أمامه الحرية الكاملة في الانطلاق وراء خفايا الحدث و دوافعه، بينما يقف المؤرخ جامدا ؟إزاء هذا ذلك أنه ملتزم برواية الحدث كما هو ، و حتى في محاولته إعمال فكرة فهو لا يستطيع أن يلجا إلى التصورات الفكرية و إنما يلتزم بالمنطق العلمي أو بطريقة أخرى فإن مجال المخيال مفتوح أمام الروائي بينما هو مغلق أمام المؤرخ) [1]

إذن هما ينظران إلى التاريخ من زاويتين مختلفتين ،المؤرخ ينظر بباصرته نحو الماضي بهدف كشف الحقيقة ،و الروائي ينظر بإحساسه الفني إلى التاريخ على أنه المادة التي يستطيع عبرها تصوير رؤيته للواقع و التعبير عن تجربة من تجاربه ، فهو بذلك لا يكتب التاريخ بل يقيم معالم له ، و يحاول خلقة من جديد وفق رؤيته .

3- العلاقة بين الأدب والتاريخ:

إن العلاقة بين الأدب والتاريخ لم تكن وليدة عصر معين ،بل هي قديمة قدم المعارف الإنسانية ،فالأدب والتاريخ يعتبران فرعان لشجرة واحدة فالتاريخ يحاول عبر بحثه تسجيل حوادثه اعتمادا على الحقيقة أحيانا والوثيقة أحيانا أخرى ، بينما الأدب يعتمد التخيل و إعادة إنتاج ما جرى في محاولة دائمة لإثارة الدهشة والسعي نحو المعرفة والتعبير عن القيم العليا. وبالرغم ما يبدو ظاهريا من اختلاف بين الأدب والتاريخ نتيجة لاختلاف مجالي اشتغالهما ، (فإن هناك علاقة خفية تحيك وشائج متشابكة فيما بينهما ، حتى أن المدقق في هذه العالقة سيكتشف نوعا من التكامل غير المعلن يربط بعضهما ببعض قد يبدو جليا حينا ، لكنه يأبى الإعلان عن نفسه أحيانا أخرى) [2].

فإذا كان التاريخ بحكم ماهيته وموضوعاته ومناهجه ، ينطلق من معطيات تاريخية واقعية ، من أجل التأريخ للمسار البشري محاولا البلوغ إلى أكبر قدر من الموضوعية والحياد، فانه اتخذ في كثير من الأحيان من النص الأدبي وسيلة لاشتغاله ، باعتباره وثيقة

---

[1] عبد الرحيم الحسناوي ، السرد التاريخي والسرد الروائي ،ص44

[2] مصطفى لغتيري ، بين الأدب والتاريخ ، محور الأدب والفن ، العدد 2877 ، مارس 2010، 23:11، نقلا عن موقع الحوار المتمدن : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=197855&r=0

تكشف عن بعض التفاصيل التي تسعفه في بناء صورة متكاملة حول فترة زمنية معينة ، والأدب رغم الطابع التخيلي المهيمن على مجال اشتغاله ،فانه كثيرا ما التجأ إلى التاريخ ليرفده ببعض معطياته ، من أجل توظيفها في نسج بعض الآثار الأدبية الخالدة ، و في هذا الصدد نذكر على سبيل المثال لا الحصر الإلياذة و الاوديسا اللتين ارتكزتا على أحداث واقعية ، كانت بلاد الإغريق مسرحا لها .

وربما يتفق الأدب و التاريخ في اشتراكهما في الخطاب الثقافي و الإيديولوجي ،لكن يظل اختلافهما الأساسي في الشكل و طرق المعالجة والبناء والاستبصار ، وفي النهاية يظل الأدب ينظر إلى التاريخ باعتباره مادة خاما يمكن الاستفادة منها لتجسيد عمل أدبي متخيل . وبذلك يكون التاريخ قد استطاع أن يحجز لنفسه مكانا بين مختلف الأجناس الأدبية كالرواية والقصة وغيرها ، كما أشار إلى ذلك الصادق فسومة بقوله (إحياء التاريخ أمل الاحيائيون والمصلحون ومن دار في فلكهم من أهل الأدب عموما وأهل القصة خصوصا)[1].

فدخول التاريخ إلى الأدب كان بمثابة إشراقة أمل عند الأدباء لان التاريخ له مكانة باعتباره إحدى أدوات الثقافة التي تشد أزر الناشئة وتربطهم بالهوية

- العلاقة بين الرواية والتاريخ :

لقد كانت علاقة الأدب بالتاريخ الأسبق من علاقة الرواية بالتاريخ كون الأدب هو القالب الشامل للأجناس الأدبية جميعها السردية والشعرية ، والرواية بوصفها النوع الأهم في جنس السرد ، فقد ظهرت عليها علامات تلك العلاقة بين الأدب والتاريخ ، وللأمر جذور معرفية قديمة منذ تشكل الوعي الأدبي .

فالرواية(أمست سيدة الألوان والأجناس ، وهذه السيادة لا تنبع من حلولها في نفوس المتلقين فحسب ، ولا تنبع من تفوقها على الشعر في زماننا ، بل إن الرواية لون ما عاد يوقف نهمه لون أخر ، ففي مواقف كثيرة سلبت الرواية الشعر أدواته و تسلحت بسلاحه وسرقت متلقيه و رواده على حد سواء كما أنها نهلت من التاريخ نتائجه و حققت في

[1] مها خالد سلمان احمد ، الأدب والتاريخ نحو مدخل معرفي ، مجلة ديالي ، العدد 80، كلية التربة للعلوم الإنسانية ، جامعة ديالي ، 2019.

مسلماته ، وأكملت ما سكت عنه التاريخ و صححت ما زيفه)[1] ، فالرواية هي المتمثلة ليوميات الإنسان و معاناته وتجاربه وطبيعة العلاقة بين الإنسان و مجتمعه بوصفه جزءا من هذا المجتمع ، ولان لهذه اليوميات زمنا معينا ارتبطت الرواية بالتاريخ كما أشار إلى ذلك اغلب النقاد والباحثين : كما أن هذه العلاقة تكون من خلالها جنس أدبي يعرف بالرواية التاريخية .

وكون الرواية من أكثر الأجناس الأدبية احتواء للمعرفة الإنسانية في العصر الحديث، فالذهاب إلى التاريخ يجعلنا نستحضر آليات إنتاج النص الروائي ضمن خطاب التاريخ الموظف غبر تشكيلات سردية مختلفة تقرا الماضي بشيء من التميز و التفرد بغية إعادة إنتاجه مجددا أو بالأحرى (فالروائي يرسم الوجود أثناء اكتشافه لإمكانيات غير معروفة تعكس أعماق العالم الإنساني)[2] وان هذه الإمكانيات تفتح مواطن السرد على دفات التاريخ كأحداث إنسانية شيدها العقل البشري ولهذا يبدو الصراع قائما بين الرواية والتاريخ حين تكون العلاقة بينهما مستحيلة وممكنة في نفس الوقت فهو صراع بين الذاكرة الإبداعية المفتوحة على الذات والرؤية الجمالية المشتغلة على خطاب التاريخ كمعرفة وانجاز إنساني . فالكتابة الروائية تتعامل مع المركب الزمني كمكون تقني ومعرفي يدمج عوالم تخيلية ضمن مبنى حكائي يزاوج بين سلطة التاريخ كخطاب مهيمن عايشته الجماعة البشرية ، وبين إرغمات سردية تعيد تشكيل الواقع تشكيلا رمزيا له فضاءاته الانزياحية ، ومن هذه الزاوية يلتقي الخطابان (التاريخي /الروائي) في مساحة مشتركة أساسها رسم الواقع و أعادة تمثيل الحياة وهذا ما يجعل عمل المؤرخ قريب من عمل المبدع ،فكلاهما منشغل بالحقيقة والبحث عن مجموع القيم والمعارف المندسة في أعماق الناس ولهذا فان قراءة التاريخ في الرواية الكتابة الروائية حلقة زمنية محكومة بوضع جدلي يتصارع مع الروائي من اجل تصوير حقيقة الماضي بذاكرة الحاضر.

[1] نضال الشمالي، الرواية والتاريخ ، ص108.

[2] محمد القاضي ،الرواية والتاريخ ، دراسات في تخييل المرجعي ،ط1، 2008،دار المعرفة للنشر ، تونس ،ص11.

الفصل الثاني

حضور التاريخ وتجلياته في رواية يبكيه الحمام لحفيظة قاسمي أنموذجا

أولا: البعد التاريخي في الرواية.

ثانيا: الأحداث التاريخية في الرواية.

ثالثا: الشخصيات التاريخية في الرواية.

أولا: البعد التاريخي في رواية يبكيه الحمام.

- البعد التاريخي في الرواية :

يمثل البعد التاريخي إحدى المميزات الأساسية التي يتسم بها الوجود البشري فالإنسان بخلاف بقية الكائنات فهو لا يعيش متعلقا في لحظته الحاضرة فقط، بل يستطيع العودة إلى الماضي لتمثل حوادثه أو التوجه نحو المستقبل لتجسيد طموحاته، لذلك نجده قد سعى منذ القدم إلى تدوين ماضيه بغرض الحفاظ على تراثه أو أخذ العبرة منه.

ويشير مفهوم التاريخ في اللغة كما سبق وذكرنا إلى الإعلام بالوقت فيقال(مثلا: أرخ يؤرخ الكتاب أي يبين وقت كتابته).[1]

ودلالة التاريخ حسب **ايريني هنري مارو** (معرفة علمية ينشئها المؤرخ عن ذلك الماضي مستندا إلى منهج علمي صارم و دقيق)[2] ، فإذا كانت المعرفة التاريخية تسعى إلى تحديد معالم الماضي باعتباره مجموعة من الوقائع التي حصلت في زمان و مكان محددين فان استحضار هذا الماضي ليس عملية سهلة لان ذلك يقتضي توفر منهج خاص يعيد بناء الظاهرة التاريخية انطلاقا من الوثائق التاريخية .

وتتخذ الرواية أشكالا و صورا مختلفة في تعاملها مع التاريخ إذ تختلف من كاتب إلى آخر، منها من حاول بعث حقبة تاريخية في أمانة ودقة ولم يتجاوز هذا الإطار المحدد واهتم في المقام الأول بالطابع المحلي ، ومنها من بعث التاريخ الماضي لكي يجري عليه إسقاط على الحاضر بغية نقد الحاضر و تغييره ومنها من انطلق من الواقع التاريخي و حوله إلى خيال صرف .

فتوليد الوقائع من أهم سمات الإبداع الأدبي كون الروائي يعود فيه إلى معايير خاصة سواء أكانت هذه المعايير فنية أم غير فنية وهي مرتبطة بالحالة النفسية للمؤلف لان ذاتية الروائي تظهر بصورة أو بأخرى في الكتابة السردية و هي مرحلة من المراحل التي يجد فيها الروائي نفسه حائرا بين ماعاشه وما عايشه على مستوى الواقع وبين الشخوص التي

[1] شمس الدين السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص 6-7.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ،ص 9.

يحركها على الورق ، فالروائي بفضوله الاجتماعي والنفسي وفطنته وحساسيته كل ذلك يجعله مهيأ لاستقبال وتوصيل أدق الأحاسيس واكبر الأحداث ولان الروائي يعبر عن مجتمعه ، بالتالي فانه لا يستطيع التملص من ذاتيته في طرحه للقضايا و معالجتها .

و هذا ما يمكن أن نلمسه في رواية **يبكيه الحمام** للكاتبة والروائية التونسية **حفيظة القاسمي** فهي (قصة حب وحرب وقعت بين عشيرتي الركاركة و المرزاقة المتفرعتين من نفس القبيلة بالجريد التونسي لاسترجاع فتاة تدعى عائشة الركروكية خطفها محمد المرزوقي بعد رفض اهلها طلبه لزواج)[1] بسب تقاليد و الأعراف القبيلة التي تفرض الايتزوج الركاركة من غير الركاركة وهي تيمه سنها شيخهم للحفاظ على نفاء الدماء الركروكية منذ أن بدأت القبائل تغادر موطنها ولا تعود .

و لتعلن الحرب بين العشيرتين بعد فشل كل محاولات الصلح والحوار ، وتزهق العديد من الارواح وترخص انفس الكثير من الأبرياء، ومن بين الضحايا الذين بقيت الذاكرة الشعبية تذكرهم (أحمد) الذي مات دون أي ذب والذي ماتت أمه كمدا عليه و التي لم يبقى احد في الجريد وفي الصحراء لم يعلم بقصتها ولم يحفظ دعائها على قاتل ولدها ،دعاء مر ارهب الجنوب ولم يبقى احد لم يتناول ذاك الدعاء

(قتال احمد وليد *** الله يصدفو للدعاوي

يجعلو تيف الثنايا *** غبابير والريح لاوي

يجعل فراشو حوية *** وغطاه صقع الليالي

يجعلو كيف الولية *** مشومة قليلة الذراري)[2]

و (الحسين) الذي خرج للقتال فعادت فرسه وهام أبوه من بعده في البراري حاملا قربتين مملوئتيين دماء من المعركة مشبهة إياه بمقتل الحسين ابن علي في معركة كربلاء .

ويؤكد محمد رياض وتار أن وراء توظيف النص الديني في الرواية العربي المعاصرة دافعان هما :

[1] حفيظة القاسمي :يبكيه الحمام ، دار ميارة للنشر والتوزيع ،ط1 ، 2018، تونس ، ص .05

[2] حفيظة القاسيمي: يبكيه الحمام ،ص 60.

أولا : أن التراث الديني ، في قسم منه هو تراث قصصي ، لذا وجد بعض الروائيين أن تأصيل الرواية العربية يقتضي العودة إلى السرد الديني و الإفادة منه في التأسيس لرواية عربية خالصة .

ثانيا : أن التراث الديني يشكل جزء كبير من ثقافة أبناء المجتمع العربي ، لذا فإن أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربي وقضايا [1]

وتحسن الإشارة إلى أن الإبداع الروائي المتناول للصراع القبائل تتجاذب به رؤيتان :

- أن رواية يبكيه الحمام قد لا تكون حكاية حب ولكنها حكاية حب غير شرقية تلك في ختامها يتزوج الأبطال كما يقول نزار قباني بل كانت حكاية دموية تزوج فيها البطلان لتستعر ألسنة الحقد في الصدور وتستل السيوف من أغمادها لتخطفي الصحراء المكان شلالا من الدماء .
- هي جعل حادثة الاختطاف وقودا لإشعال نار الفتنة بين القبائل فأستغل الوزير مصطفى جزن دار الحدث حيث قال خزنة لباي المحلة (لاتترك ، الحدث يمر بسلام استعن بعيوننا داخل الزوايا ولا تتدخل للصلح حتى يأتيك أمري)[2] كما غذى الصراعات بين القبائل والعروش الأخرى في كامل البلاد.

دون أن ننسى كون الرواية يبكيه الحمام تنهمل من تاريخ مقاومة التونسية فقد ذكر في الرواية ثورة بن غذاهم النضالية 1864 خلال حكم محمد صادق باي التي عاشت حكومته أزمة أواخر سنة 1863 كان من أثارها ، اتخاذ قرار مضاعفة الضرائب الشخصية ، هز هذا القرار جموع الشعب قاطبة و رفضته[3]. مما أدى إلى انفجار انتفاضة ضد مضاعفة الضريبة المفاجئ .

---

[1] محمد رياض وتار :توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، 2002 ص 271-272.

[2] حفيظة القاسمي يبكيه الحمام ،ص27.

[3] عبد الجليل التميمي بحوث ووثائق في تاريخ المغربي 1816-1871 الدار التونسية للنشر والتوزيع ،ط1 1972 ، ص 20.

فنجد في هذه الرواية وظفت الروائية فترة ايجابية من فترات تاريخ تونس الحديث (ولعل اختيار حقبة تاريخية بعينها ايجابية كانت أم سلبية تخضع لشرط ملامتها للعصر الذي استرجعت فيه، فلا حقبة زمنية جديرة بانتساب إلى التاريخ قياسا بحقبة أخرى اخترقها التاريخ).[1]

كما نلتمس البعد التاريخي لرواية يبكيه الحمام يفرض نفسه بقوة كونها مبنية بمواد التاريخ فقد تجوزت صفحتها مئة و خمسون صفحة وهذا الامتداد النصي له وثيق الاتصال بسيولة التاريخ وامتداد حركته عبر الزمان ، فلا نكاد نقرأ صفحة واحدة من الرواية إلا ونجد ما يحيلنا إلى حادثة تاريخية من تاريخ تونس في عام عيشة.

كذلك نلاحظ أن حفيظة القاسمي من احد الروائيين الذين ولعو ولعا شديد لتوظيف التاريخ . حيث نجدها في بداية روايتها ذكرت بعض الرواة من الذاكرة الشعبية التي اسهمت منهم تفاصيل القصة المحرمة نذكرهم كالأتي :

الحاج على بن عبيد بن زمال العبيدي من توزر

الحاج محمد بن محمد بن مبارك الركروكي من توزر

الحاجة غنية بنت عبيد بنت زمال العبيدي من الرديف

كذلك نجدها حرصت على ذكر مجموعة من كتب تاريخ تونس التي اعتمدت عليها كمصادر في بناء وتاليف روايتها ووقائعها التاريخية ونذكرهم كالاتي :

- مع البدو في حلهم وترحالهم لمحمد المرزوقي
- العادات والتقاليد التونسية لمحمد بن عثمان الحشائشي
- عروش تونس لمحمد على الحباشي
- المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي :إعداد مجموعة من الباحثين ، تنسيق د محمد الهادي التيمومي .

[1] فيصل دراج : الرواية وتاويل ن(نظرية الرواية والرواية العربية) ، ص261.

ثانيا: الأحداث التاريخية في الرواية :

مما لا جدل فيه ، و لا ريب يتخلله انه من المستحيل تصور رواية بدون أحداث ، فالرواية فن يحول الزمان و المكان و الأحداث إلى فضاءات حية بإعادة التمثيل ، وذات رؤية بالتخيل ، فهي مكونة من أحداث يؤطرها المكان و تؤديها الشخوص و ينسجها الزمان، ويمثل مفهوم الحدث عنصرا محوريا في السرد كله . ومن هنا نتساءل ما الحدث وما مفهومه؟

مفهـــوم الحـــدث :

لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور أن حدث الشيء ، فإذا قرن يقدم ضم لازدواج و الحدوث كون الشيء لم يكن ، وأحدثه الله فحدث ويحدث أمرا أي وقع ومحدثات الأمور ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيره [1].

والأحداث : إيجاد الشيء مسبوق بالزمان[2] ، والحدوث عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه [3]. أي حدوث أمر أو واقعة بعد أن كانت منعدمة و غير موجودة ، وهو غير مرتبط بتغير في الزمن . فنجد أن الحدث في المفهوم اللغوي اقترن بوقوع أمر ما فأصبح بهذا أمرا حادثا على غير المعتاد .

اصـطـلاحا : الحدث عبارة عن (مجموعة من الوقائع المرتبطة و المنظمة ، وهو ما يمكن تسميته بالإطار ، أو هي تلك السلسة من الوقائع المسرودة سردا فنيا و التي يضمها إطار خاص)[4].

فإذا تأملنا النص السردي نجده يتكون من أحداث وزمان ومكان وشخصيات ،هذه العناصر منسجمة في سياق متميز ، تساهم في تشكيل بناء النص الروائي .

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، مج 2 ، ص 796.

[2] الشريف الجرجاني : كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ،ط1، 1985، ص10.

[3] المصدر نفسه ،ص

[4] عز الدين اسماعيل : الادب و فنونه ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ،ط1 ، 2002،ص 104..

وقد ركزت الدراسات السردية الحديثة على الحدث لكونه اكتسب خصوصية وهذا لارتباطه بشكل قوي بعناصر السرد الأخرى من الزمان والمكان والشخصيات ، بإضافة كون التاريخ موجود بماضيه وحاضره داخل هذا التماهي والارتباط و لا يمكن أن يتأسس النص الروائي إلا في حدود ارتباطه بما يسمى الحدث ، وعليه فان (الحدث هو كل ما يؤدي إلى تغيير أم أو خلق حركة أو إنتاج شيء ، ويمكن تحديد الحدث في الرواية بأنه لعبة قوى متوجهة أو متحالفة، تنطوي على أجزاء تشكل بدورها حالات مخالفة أو مواجهة بين الشخصيات) [1].

و تنقسم الأحداث والوقائع التاريخية التي وظفتها الرواية العربية عموما إلى **قسميـــــن** : (**أولهما** أحداث السقوط حيث يعم الظلم والاستغلال و تنشر الفتن على المستوى الداخلي و يتعرض المجتمع إلى هجمات الأعداء و الهزائم على المستوى الخارجي أما **ثانيها** فهو أحداث النهوض حيث يعم العدل و المساواة بين أفراد المجتمع و يحقق الشعب النصر).[2]

وتدوين الأحداث والوقائع التاريخية مشروط بمصداقية الروائي / الكاتب فوجب عليه أ ثناء تناوله لقضية من قضايا التاريخ ألا يزيفها وان لا يزيد أو ينقص منها شيء ، وبالتالي تتجلى الحاجة لأهمية الصدق في العرض الروائي كان يتحمل الروائي هنا مسؤوليات المؤرخ العلمي ليرضي مطالب التاريخ كما يرضي مطالب الفن اللذان يكملان بعضهما في أجزاء متناسقة تدعو لطمأنة القارئ و قناعته بأهمية دور العمل الروائي.

هذا ما يجعلنا نقول أن اعتماد الروائي على وقائع تاريخية ليس هدفه تشويه التاريخ أو نقله حرفيا و إنما الغرض منه صياغة المادة بطريقة فنية يمزج فيها التاريخي بالمتخيل في قالب روائي، ليصبح ذلك العمل روائيا أو أدبيا عالج واقعة تاريخية .

---

[1] لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، دار النهار ط1 ، بيروت ، لبنان ،2002،ص 84.

2 محمد رياض وتار : توظيف التراث في الرواية العربية ، ص 213-214.

وفي رواية **يبكيه الحمام** لحفيظة القاسمي نجد أن الروائية تستثمر التاريخ وتستمد من أحداثه مادة لتشكيل بناء روايتها ، والتي جرت أحداثها في فترة حرجة من التاريخ التونسي عرفت (بالقرن العصيب 1815-1881)[1].

و يشير عام 1864م الذي أوردته الكاتبة في بداية روايتها إلى (ثورة بن غذاهم في زمن حكم محمد الصادق باي)[2].

و ما ميز رواية يبكيه الحمام هو الحضور المادة التاريخية التي تعتبر مرجعيتها في سرد الأحداث، فالملاحظ أن المادة التاريخية الموثقة في الرواية قد انتقلت من مستوى الوثيقة بالمعنى التاريخي إلى مستوى النص أي السرد الروائي الذي على خلق تصورات جمالية يتقرب بها القارئ من الزمان و المكان.

إذ تبدأ الرواية بحدث تاريخي مهم وبارز و الذي كان السبب الرئيسي في انفجار بقية الأحداث و هو حادثة اختطاف عائشة الفتاة الركروكية من طرف محمد المرزوقي، و تسرد لنا الكاتبة الظروف و الأسباب التي دفعت به لاختطافها.

فعائشة فتاة تنحدر من عشيرة الركاركة جمعت بينها و بين محمد من عشيرة المرازقة قصة حب كبيرة أراد بطليها تتويجها و تكليلها بالزواج ، لكن في كل مرة كان يرفض فيها طلبه علي الرغم من صلة القرابة بينهما (ماذا جنينا يا عائشة حتى نهان... ماذا جنينا؟ ألسنا من فصيل الدم الواحد ألست ابن عم لك)[3] فالأعراف و التقاليد كانت السبب الرئيسي و الأساسي في رفض هذا الزواج لأنه كان يمنع ان يتزوج الركاركة من غير الركاركة (تيمة سنها شيخهم منذ أن بدأت القبائل تغادر مواطنها و لا تعود، قال إنهم قلة و على القلة أن تتكاثر ذرية صافية منهم كي لا يتماهى عددهم و لا يفنى)[4]. فبعد كل محاولات محمد في

[1] محمد الهادي شريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال ، ط3، دار سراس للنشر، ص 96.

[2] حفيظة القاسمي، يبكيه الحمام، ص 5.

[3] المصدر نفسه، ص 14،15.

[4] المصدر نفسه، ص 15.

خطبتها و بعد كل الرفض الذي تلقاه إلا انه اختطفها و تزوج بها غير آبه بالأعراف و التقاليد و لا بالنتائج التي ستنجر عن فعلته هذه (قد خطف المرزوقي عيشة).[1]

وبعد هذا الاختطاف يأتي الحدث الثاني المهم في الرواية و هو محاولات العجال والد محمد المرزوقي في إقامة الصلح بينه و بين الركاركة لتصحيح ما فعله الأبناء، (لقد حاول معالجة الأمر مع أهل عائشة، ذهب مع وفد من الشيوخ إليهم، عرض على والدها ابنته الوحيدة يزوجها لأحد أبنائه فلم يقبل، عرض عليه غنمه وجماله و جنته مهرا و عربون سلام فأبى ، حاوره و ناوره، سايره و هادنه...لكنه لم يحترم شيبة الكبار ولم يقدر مكانة أحد و لا حرمته) [2]. فرغبة الانتقام و استعادة الشرف المسلوب كانت أقوى من رغبة و إرادة العجال.

ليشهد بعد ذلك الجريد التونسي حدثا تاريخيا آخر، و ليشهد على حرب انتقامية طالت الكبير و الصغير، حرب دامت اثنتي عشرة عام و هي كما شبهتها الكاتبة (بسوس أخرى، أو كربلاء جديدة) [3] .

و تسرد لنا الكاتبة أحداث هذه الحرب و مجرياتها فالملاحظ أن الأحداث في الرواية قد جاءت بطريقة تصاعدية تجعل المتلقي/ القارئ محتاجا إلى خاتمة تحسم الموقف و تشكل النهاية ، فكلما توغلنا في قراءتنا لأحداث الرواية نجد أن وتيرتها تتصاعد.

كما اعتمدت الكاتبة في الشطر التاريخي على كثير من الدقة والتفصيل وهذا ما يمكننا أن نلمسه في وصفها لحيثيات الحرب خاصة في وصفها لمقتل أحمد الذي مات دون ذنب والذي ماتت أمه كمدا عليه ودعت على قاتل ولدها دعوة تناقلتها الألسن طويلا.

و موت الحسين الذي خرج للقتال فعادت فرسه برأسه وهام أبوه من بعده في البراري حاملا قربتين مملوؤتين دماء من المعركة .

---

[1] حفيظة القاسمي، يبكيه الحمام، ص 19.

[2] المصدر نفسه، ص 30.

[3] المصدر نفسه ، ص 10.

ولعل التأكيد والوصف الدقيق الذي ألحقته الكاتبة بمقتل الحسين كانت ترمي به إلى تذكر مقتل الحسين ابن علي في معركة كربلاء والتي لا تقل بشاعة ووحشية عما عاناه الجنوب التونسي آنذاك .

و تستمر الكاتبة في نقل أحداث حرب عام عيشة التي كانت بين عائلتين ثم صارت بين عشيرتين ثم توسعت لتشمل كل العشائر ، حرب لم يبق فيها للإنسانية معيار ، لم تبقى أي قيمة للرابطة الدموية ، ولم تعد الشفقة ركنا قائما داخل النفوس.

نقلت لنا الكاتبة تفاصيلها بطريقة فنية رائعة مراعية تاريخيتها و في الوقت نفسه أخرجتها من جمودها التاريخي ليأتي الخيال التاريخي واضحا في طريقة سردها .

وبعد كل هذا تدرج الكاتبة حدثا تاريخيا آخر وهو تدخل باي المحلة واقتراحه للهدنة بعد أن كان فيما مضى مؤيدا لهذه الحرب لأسباب تخدم مصالحه الشخصية (اليوم جاء باي المحلة و قد زاد من العسكر، نادى شيوخ العشائر و عرض عليهم الصلح فما رضي أحد، و قبل أن يغادر قرر مهلة شهر للتشاور ، يعود بعدها ليسمع الرد...)[1] و اثناء هذه الهدنة يبرز حدث آخر وهو عودة عائشة إلى قبيلتها بعد أن اشترط أخوها زمال عودتها في المهلة الممنوحة لهم للتشاور ،ولقد عادت عائشة وكلها أمل في أن يكون رجوعها هذا سببا في حقن الدماء (بلغي الجميع يا أمي أنني أقبل بالعودة وقولي لهم لن أضن بحياتي إن كانت سبيلا في حقن الدماء)[2]

وبعد عودت عائشة للقبيلة مكثت فيها شهرا كاملا لم ترى فيه أحدا من عائلتها ولكن رجوعها هذه المرة كان مختلفا ، فقد عادت حاملة في أحشائها ما يربطها للأبد بقبيلة المرازقة وفي هذه الفترة تعرضت لمحاولات قتل متكررة من طرف اخوتها لتقرر بعد ذلك الهروب والعودة إلى محمد (عائشة تعود إلى محمد ... تترك الحيرة حائرة ، وتعود .. ترفض برودة الصمت وفراغ العيون ، وتعود ... تكتب بخطاها قصة القلب الجارح وتعود .)[3] ولم يفرح

[1] حفيظة القاسيمي ، يبكيه الحمام ، ص97.

[2] المصدر نفسه، ص 103.

[3] المصدر نفسه، ص 121.

بعودتها غير زوجها ، وبعد كل هذه المعاناة أنجبت عيشة ثلاثة أولاد مشوهين وأعتبر هذا التشوه بمثابة لعنات أصابت ذريتها وهذا ما كان سببا في تشفي غليل الركاركة، إنهاء الحرب وخمود نار الانتقام في نفس والدها (الحمد لله قد سمع الله مني ... فأصابت لعناتي ذريتها لن أبأس بعد الآن كثيرا وليهنأ المرازقة طويلا بتلك السلالة).[1]

وباعتبار أن هذه الرواية رواية تاريخية كما أشارت إليه الكاتبة في غلاف روايتها ، فإنها لم تكتفي فقط بالتأريخ لحرب عام عيشة وإنما أوردت لنا بعض الأحداث التاريخية الأخرى التي اتسمت بها المنطقة آنذاك مثل:

1. الاستعمار الفرنسي للجزائر وما سببه من معاناة للشعب الجزائري (فمن كان يضن أن تعاني جارتنا الجزائر ما تعانيه الآن من عدو لا تعرفه الصحراء ... ومن كان يتخيل أن نرى تلك الأشباح العملاقة تمر من سمائنا إليهم بين الحين والآخر)[2] ففي فترة حرب عام عيشة عانت الجزائر من ويلات الاستعمار وأزهقت فيها مئات الأرواح، وتعد مقاومة الجزائريين للاستعمار الفرنسي من العوامل التي أدت إلى انتهاء الاقتتال في الجريد التونسي بسبب انسحاب العشائر المناصرة للطرفين وتمييزهم لعدوهم الحقيقي (...فقد كره الناس جحيم الحرب ، وانسحبت من المناصرة عشائر ...ولفتت انتباههم جبهة المقاومة التي فتحها جيرانهم الجزائريون على العدو الأشقر .. و بدؤوا يتعلمون ، وينتبهون ويقارنون بين العدو و العدو)[3].

كما أشارت حفيظة القاسمي إلى حدث آخر أدى بنا إلى فهم حقيقة تاريخية كانت سائدة في ذلك الزمان ، هذا الحدث هو انحراف الدراجة النارية للمتسابق الأجنبي الذي اصطدم بباب كهف في عمق الصحراء التونسية وبعد ابلاغه للمشرفين أوصي بالتكتم وسرعان ما حلقت طائرة فوق تلك الزاوية المنسية من الجنوب بسرية مطلقة وبالرغم من اكتشافهم للجثث والجماجم وادراكهم لما جرى في تلك المنطقة من مجازر إلا أنه غادروا

[1] حفيظة القاسيمي ، يبكيه الحمام ، ص144

[2] المصدر نفسه ، ص31 ، 32.

[3] المصدر نفسه ، ص 130.

المكان سريعا دون إعطاء أي أهمية لهذا الاكتشاف ، ومن هنا نفهم حقيقة الدهاء السياسي، لعبة المصالح و طمع دول العالم الكبير في ثروات المنطقة و اهتمامها بمصالحها الشخصية فقط متجاهلة تماما كل ما كان يحدث من مآسي لأهالي الجنوب (حين غادرت الطائرة المكان أخيرا كان رماد الجنوب قد أخبر الفريق المتخصص بكل الحقيقة وكان أن انصبت أعين العالم الكبير على ثروات الجنوب ...)[1]

وفي الأخير وبعد دراستنا لأحداث الرواية يمكننا القول أنه بالرغم من حضور التاريخ في الرواية باعتبارها تؤرخ لأحداث وقعت في فترة زمنية محددة إلا أننا لا نشعر بتلك الفجوة بين ما هو تاريخي وما هو فني كما لا نشعر بالحدود الفاصلة بينهما فهما يتفاعلان مع بعضهما البعض ليكون بذلك السرد التاريخي بطريقة فنية.

ثالثا: الشخصيات التاريخية في الرواية.

- مفهوم الشخصيات الروائية :

لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور (الشخص .جماعة شخص الإنسان وغيره مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص ؛وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه والشخص هو كل جسم له ارتفاع وظهور ،والمراد إثبات الذات فاستعير بها لفظ الشخص)[2]

كما جاء تعريف الشخصية في معجم الوسيط على أنها (صفات تميز الشخص عن غيره ويقال فلان ذو شخصية ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل)، بمعنى أن الشخصية من هذا المنطلق هي : الكيان الذي يظم في طياته الجوانب الوجدانية والعقلية لها .

اصطلاحا : احتلت الرواية العربية مكانة مرموقة بفضل عنصر الشخصية الذي انكب العديد من النقاد على معالجتها (فهي أداة من أدوات القصص يضعها القاص لبناء عمله كما يضع اللغة والزمان وباقي العناصر الفنية الأخرى)[3].

---

[1] حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ، ص 124.

[2] ابن منظور، لسان العرب ، مج 2، ص 2211 .

[3] عبد المالك مرتاض ، قصة جزائرية معاصرة ، ص71.

فالشخصية مثلها مثل أي أداة قصصية أخرى يلجأ إليها السارد ليشكل بنية فنية قائمة على تضافر جهد هذه الأخيرة مع الجهود السردية الأخرى من منطلق (المشاركة في أحداث الحكاية سلبا أو إيجابا)[1]، بمعنى أن الشخصية المحرك لإحداث الروائية دون النظر لدور الذي تلعبه سواء أكان رئيسيا أم ثانوي .

ويشير عبد المالك مرتاض إلى ضرورة التفريق بين **الشخص** و**الشخصية** إذ نجده يقول (أن شخصية لدينا كائن حي ينهض في العمل السردي يوظفه الشخص الذي هو جمع لشخص ويختلف **الشخص** عن **الشخصية** بأنه إنسان لا صورته التي تمثلها الشخصية في الإعمال السردية)[2] وما يلفت نظرنا أن الباحث عبد المالك مرتاض عاب على الكثير من الباحثين خلطهم بين مفهومي الشخص والشخصية .

- مفهوم الشخصية التاريخية :

وهي شخصيات واقعية تتمثل في شخصيات حقيقية خلدها التاريخ ، حيث (يستوحيها المؤلف في كتب التاريخ وأحداثه ، ويكون موضوعا مقتبسا في سيرة القادة ورجال الدين، أو أصحاب الحركات والثورات التاريخية للشعوب مع مختلف أجناسها). [3]

وتدخل شخصية العمل السردي (بحقيبة ملابس جاهزة لا علاقة لها بالصورة المرسومة عنها في الواقع)[4] أي أنها معرفة من خلال مسيرتها وما جاء في كتب التاريخ تتغير حقائقها أو إلباسها صفات تتجاوز واقعيتها أو إخضاعها لمعلومات خارج نطاقها، لكنها تقود الكاتب (إلى مصيرها هي كما كانت قبل مئات أو عشرات السنين)[5] .

[1] لطيف الزيتوني، معجم المصطلحات ، نقد الرواية ص114.

[2] عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي ، ص 126.

[3] نضال الشمالي :الرواية والتاريخ ، ص 226.

[4] المرجع نفسه ، ص 42.

[5] المرجع نفسه ، ص 226.

- **أنواع الشخصيات التاريخية في الرواية :**

الشخصيات التاريخية الرئيسية : المقصود بها هي تلك(الشخصيات التي ينشئاها صاحبها انطلاقا من شخوص ذات وجود فعلي في التاريخ)[1] فالروائي هنا عندما يتعامل مع شخصيات تاريخية كأنه يتعامل مع التاريخ وهي(تستأثر باهتمام السارد حين يخضعها دون غيرها من الشخصيات الأخرى بقدر من التميز حيث يمنحها حضورا طاغيا ، و تحظى بمكانة متفوقة)[2] عكس الشخصيات الثانوية فإنها لا تتمتع بالقدر نفسه من المكانة .

تعود الشخصيات التاريخية الرئيسية داخل رواية يبكيه الحمام لحفيظة القاسمي إلى عهد محمد الصادق باي حاكم تونس ونذكر منها ما يلي:

عيشة الركروكية :هي شخصية رئيسية التي افتتحت بها الروائية أحداث روايتها حيث نجدها في جميع فصول الرواية تصفها لنا في قولها (عيشة فتاة الجنوب الجميلة)3

وهذا الوصف تتبين معالمه عبر حركات الأحداث ونمو شخصية عائشة عبر الرواية ، فهي تلك الفتاة الصبية الوالهة ما سجل اسمها في دفتر الحياة إلا وهي تتحول امرأة بالقوة فتغير حقبة حاضرها، هي شخصية استقضت على هذه الحياة مع قصة حب غيرت مسار حياتها شخصية وجدت من اجل أن تدافع عن الحب وقد جعلته أقوى من الشرائع القوة حتى من الموت (كل اللاتي انتمت إليهن عائشة ، راضين بالسوط ، راضين بالغفلة بالخضوع والمهانة ... وحدها تمردت ومن اجلها لوحدها قامت الحرب)[4].

والملاحظ على هذه الشخصية القوة والمواجهة والتمرد ودلائل كثيرة في الرواية كونها أنها ولدت في يوم عاصف وظلم الحاكم (الجباية) المفروطة آنذاك وهذا إذا دل على شيئ إنما يدل على ما ستؤول له حياتها في المستقبل (تتذكر والدتها بركو شتاء حملها بعائشة كانت

[1] الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة ص 102.

[2] محمد بوعزة : تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) دار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ،ط 1 ، 2010 ، ص 56

[3] حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ، ص16.

[4] المصدر نفسه ، ص 16.

الصحراء قد اضمات حط الباي المحلة أيامها ثقيلا على العشائر)[1]. تمردت عائشة على نواميس قبيلتها وتمسكت بعلاقتها مع محمد ،إذ سبق لها وان حاورت أمها أنها تحبه وتريد العيش معه وأن المرازقة أبناء عم الركاركة لماذا الرفض أجابتها أمها : (وهي تتأفف تحلي بالحياء قليلا يا عيشة)[2].

و الملاحظ لأي شخصية محورية أنه لا يختلف حاضرها وماضيها وذلك لما تختزنه هذه الشخصية في ذاكرتها من ذكريات أليمة تعود اليها بكل عذاباتها ،بحيث (تستحضر عائشة اسماء اخوتها جميعا ... ربما شعرت بالذنب لكنه غير مشفوع بتوبه...) [3]، ولهذا (تحتضن الشخصية باعتبارها عنصر دائم الحضور وباعتبارها سند الصفات معينة ولتحولات سردية)[4] ، إذ عجزت عن تحرر من ذاكرتها المتشبعة بالحنين والأوجاع ويجبرها الحاضر على الغوص فيها أكثر وأكثر .

لقد حرصت حفيظة القاسمي بان تكون أحداث روايتها مقيدة بشخصيات تاريخية أدرجت ضمنها موضوع غرامي تقف فيه العوائق بين العاشقين ثم تزول ويجتمع الشمل مع اقتراب الموضوع من نهايته وأي نهاية نهاية تعيسة ومن اجلها دارت الحرب لثنا عشر عام وأنجبت أحفاد لمرزاقة مشوهين (كانت تعلم أن المحيطين بها يكرهون رؤيتهم ويكرهونها أيضا لأنها جلبت لهم العار مرتين) [5]، فالعيون لا تشاهد سوى تشفي الصحراء في ذريتها لعنة الحرب والدماء وأوصلتها ، وقد ساهمت بذلك في بناء أحداث الرواية باعتبارها شخصية تاريخية محورية و التي من خلالها انطلقت الروائية في مدونتها .

---

[1] حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ، ص 18.

[2] المصدر نفسه ،ص17.

[3] المصدر نفسه ، ص17.

[4] فيليب هامون : سميولوجيا الشخصيات الروائية ، تر سعيد بن كراد ، دار الحور للنشر ، سوريا ،ط1 2003 ، ص58.

[5] حفيظة القاسمي يبكيه الحمام ،ص 114.

- **محمد المرزوقي** : محمد ولد العجال المرزوقي من قبيلة المرزاقة بالجنوب التونسي فالحب هو الصفة الغالبة على هذه الشخصية ، تبدأ الشخصية في الظهور حين انكشفت علاقته الممنوعة مع عائشة الركروكية ، هو ابن عم لها لكن هذه القرابة من ناحية القبيلة ليس من ناحية الدم ، شخصية عاشت على ويلات الألم والعذاب فكل ماي طمح إليه يؤخذ منه ، شخصية وقعت في حب عائشة لجمال روحها وملامحها فلم تكن من نصيبه وهذا جراء ظلم الشرائع وتقاليد العشائر ،(ماذا جنينا يا عائشة حتى نهان ..ماذا جنينا)[1]

ونستنتج أن هذه الشخصية وقصته مع عائشة أعجب بها الكثير من الشباب حيث كانوا يتمنون عشقا مجنونا مثل عشقه إلا أنهم لا يملكون حق التفكير في تخطي الأحكام ولذلك (نلقى كثير من الروائيين يركزون على عبقريتهم وذكائهم في رسم ملامح الشخصية والتهويل من شأنها والسعي لإعطائها دور ذا شان خطير تنهض به)[2] وهذا انطبق على شخصية محمد .

حرم محمد من المشاركة في الحرب والدفاع عن شرف أهله، فهو من تسبب فيها ولأجله ستدق الأعناق وترمل النساء فحسب والده (فأن قتلت فضحنا مرتين) [3]،أما عن أمه حاولت معه فحذرته إلا أن كان رده (إنها نفس يا يمه ..إنها روحي ..دونها لا أعيش) [4].حاول اخو عائشة قتل محمد فتربصوا به في المجالس وكلهم حقدا وقهرا . قال أخوها زمال (ولو رآه و أمسك به... لكان جز رأسه ، وقطع ذراعيه ...وشرم عينيه...ثم علقه أمام الجميع ليكون عبرة)[5] هذا كله ليحقق من ذله قليلا وللعار الذي ألحقته عائشة وقد استدعت الروائية هذه الشخصية في جميع أحداث الرواية .

---

[1] حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ، ص 12.

[2] عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص76.

[3] حفيظة القاسمي ، يبكيه الحمام ،ص 30.

[4] المصدر نفسه ، 131.

[5] المصدر نفسه ،ص131.

- الشخصيات الثانوية :

وهي الشخصيات التي تحتل مساحة أقل في الرواية وتكون (أدوارها محدودة .إذا ما قورنت بأدوار الشخصيات الرئيسية ، وقد تكون صديق الشخصية الرئيسية ، أو إحدى الشخصيات التي تظهر في المشهد بين حين وآخر ،وقد تقوم بدور تكميلي مساعدة للبطل أو معيق له وغالبا ما تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي وهي بصفة عامة اقل تعقيد وعمقا من الشخصيات الرئيسية وترسم على نحو سطحي حيث لا تحظى بالاهتمام السارد في شكل بنائها السردي وغالبا ما تقدم جانبا واحد من جوانب التجربة الإنسانية)[1].

وقد تجسدت الشخصيات التاريخية الثانوية في الرواية كالأتي :

لعجال المرزوقي : والد محمد من قبيلة المرازقة ، وقد استدعت الروائية هذه الشخصية من خلال حادثة اختطاف ابنة محمد لعائشة الركروكية ، تسعى ملامح الشخصية في الرواية لتأكيد على حكمه عقاه وحبه لوطنه وتربته لحقن دماءها وإيجاد حل يرضي القبيلتين دون حرب ،كما ورد في المقطع السردي(تذكروا يا الركاركة إني مددت لكم يد الأخوة والسلام وإنني حاولت حقن الدماء في هذه الصحراء)[2] . إننا نلتمس في شخصية لعجال لم يكن راضيا بما فعله ابنه محمد و متحصرا لما آل إليه الحال مع ابن العم علي بن بوبكر والد عائشة ، و حاول إيجاد طريقة يغسل بها عار الركاركة دون مواجهة الموت (لقد أخطا ابني لكن ابنتك رضيت بهذا الخطأ أيضا فلو اجتمع عقلاء العشيرتين وحكموا عليهم بالرجم لضم كل واحد جرحه إلى صدره)[3] ، وبالتالي كان لهذه الشخصية وظهورها في رواية " يبكيه الحمام " طابع منفرد وسلوك خاص ودلالة فنية ومن ثمة فإن تنهض قيمة معظم الروايات في الأثر الذي تحدثه الشخصيات في تقديم الدور المنسوب إليها وقدرتها على تجسيد تلك

[1] محمد بو عزة ،تحليل السردي (تقنيات ومفاهيم) ،ص 57.

[2] حفيظة القاسمي ،يبكيه الحمام ،ص 30.

[3] المصدر نفسه ، ص 35

الموافق بصورة مقنعة وتعطي للعمل الروائي حيوية لذا استوجب على (كل شخصية المساعدة أن تشارك في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث)[1]

الأم فاطنة : والدة محمد هذه الشخصية الثانوية ساهمت في بناء الحدث من خلال موقفها وآرائها وقفت بجانب ابنها رغم ما فعله من كفر بنواميس قبيلتها ، هذا لا يعني أنها لم توقظ غيرته على قبيلته والكف عن تفكير بعائشة كما تتدل وتتنامى هذه الشخصية مع الشخصيات الأخرى كشخصية لارتباطها بنفس الواقع ولعل أبرزها قضية الحب عاشت ما عاشته عائشة اليوم لكن الزمن كان قد تغير كثيرا خضعت لأعراف حملت جمرة عشقها ولم تبح به وهذا ما أوضحته لنا الكاتبة (لم تكرهها ولم تحقد عليها كانت تعرف لوعة الحرمان)[2] وفي مواطن أخرى تعجز شخصية فاطنة أن تتقبل أحفادها أبناء محمد ثلاثة ذكور مشوهين حاولت أن تجمل قبحهم لكنها عجزت عن القبول بهم حاولت التخلص منهم قبل انكشاف الخبر لكنها تجبن ككل مرة وهذا ما جاء في الرواية بقولها (ذكرت في لحظة نفسها أنها مؤمنة وبأن الله واهب الحياة قدر لهم هذا الشكل)[3] من خلال هذا المقطع نلحظ سيطرة العاطفة ومزجها بقوة الإيمان الأم فاطنة على أحفادها .

على بن بوبكر : والد عائشة ووصفت الكاتبة هذه الشخصية بالرجل الغيور ، بعد انكشافه خبر ملاقاة محمد وعائشة سرا وبعد طلب لعجال تزويجها رفض طلبه وأهانهم وهدد من معهم من الوفد وهذا ما نجده في الرواية (حاوره وناوره ...سايره وهادنه ... لكنه لم يحترم شيبة الكبار ولم يقدر مكانة احد ولا حرمته)[4] إننا نلتمس من هذه الشخصية انه وصمة عار لاحقته وأبنا الركاركة جراء ما فعلته عائشة و اختار الحرب لدفاع عن شرفه ، اجتمع بشيوخ القبائل المجاورة طلبا للمساعدة قال (سنبيدهم عن بكرة أبيهم حتى يعلم الجميع

[1] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، منشورات اتحاد كتاب العرب (د،ط) 1998 ، ص 32، 33.

[2] حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ص ، 103.

[3] المصدر نفسه ، ص139.

[4] المصدر نفسه ، ص 30

أن شرف الركاركة أغلى من الرقاب)[1] ومن ناحية أخرى نجد هذه الشخصية متغيرة غير تلك شخصية الأم بركو ، والتي وقفت بجانب فلذة كبدها وذهبت إلى قبيلة محمد لاطمئنان عنها غير مبالية بأي شيء (عيشة ...عيشة يا زهرة عمري كيف سأتحمل غيابك)[2] بالرغم من ما أجرمته وطعنت شرف العائلة . أما والدها فبعد هروب عائشة كان في قمة غضبه وألحق الأذى بالعائلة وأخذ يتحرى أي أثر أو إشارة تفك سر اختفاءها بقوله (كيف اختفت ، كيف ؟ هل رفعت بقدرة قادر)[3] وبعد سماعه بأحفاد لعجال و أحفاد المرزاقة استطاعت أن تشفي غليل الركاركة وتمتص منه الغضب قائلا (الحمد لله قد سمع الله مني فقد أصابت لعنتي ذريتهما)[4]

الأم بركو : والدة عائشة فهذه الشخصية كما وصنفتها الكاتبة (أم الشدائد ، أم الاشاوس وان ظلموا)[5] ترضى بأحكام العشيرة مثل غيرها من النساء لا سلطة لديهم وما يخص بناتهم ليس لها فيه رأي .

عائشة ابنتها المتمردة تخشي عنادها ، تستحضر هذه الشخصية يوم ولادتها في أيام ثقال على العشائر حيث كانت الجباية من قبل باي المحلة نجد في قول الكاتبة (أفتك حلييهم وتمورهم وهددهم بسبي الصبايا إن استمروا بالممانعة)[6] كما نجدها أيضا على مدار الرواية حزينة ومتأسفة على ما فعلته ابنتها فحذرتها مرار وهددتها بأخوتها لكن دون جدوى قالت : (اصمتي ..أصمتي ..لو سمعك احد أخوتك لذبحك) [7] ها هي بركو كتمت حزنها كرهت أن تأكل والسوط على ظهرها وصمة عار لحقت بهم ومن جهة أخرى نلتمس في هذه الشخصية نوعا من حنانة الأم رغم الفضيحة وطعن شرف العائلة والعشيرة إلا أنها عجزت

[1] حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ، ص 47
[2] المصدر نفسه ، ص 41.
[3] المصدر نفسه ، ص 129.
[4] المصدر نفسه ، ص 120
[5] المصدر نفسه ، ص 18.
[6] المصدر نفسه ، ص 18.
[7] المصدر نفسه ، ص 18.

عن صد الحنين سرت ليلا إلى الخيمة بغية رؤية عائشة تتفاجئ بالعجال والد محمد أمامها قائلة له: (لا تفضح حنيني يا لعجال، لقد جئت سر لأراها)[1] ، لن يفهم قلب بركو أحد ولن يقدر نزع عائشة منه ولو ملأت فضيحتها العالم لن يتنكر لهما الرحم .

باي المحلة : اسم يطلق على فرقة عسكرية التي تخرج من الحاضرة في تونس تحت إمرة ولى العهد أو من ينوبه ، وهي تخرج كل سنة مرتين وذلك في ظروف العادية لكي تجمع الضرائب وتفضي النزاعات وهذا ما نجده في الرواية (فإذا بباي المحلة يظهر اهتمامه بأمر الحرب فجأة ويأمر المقاتلين بالكف ...)[2]

استطاعت حفيظة القاسمي أن تلم بالمادة التاريخية، لتلك الشخوص وحتى وان كانت هذه المادة ضئيلة .

***محمد الصادق باي** :محمد صادق بن حسين بن محمود باي ، ورث الحكم عن أخيه بشكل طبيعي في 1859 ، وهو الباي الثاني عشر في الأسرة الحسينية الحاكمة في تونس حاول الصادق باي منذ حكمه أن يقوم ببعض الإصلاحات خاصة الدستورية منها ، إلا أن حب صادق بالي للترف ووجود الوزير مصطفى خزندار معه جعله يتوسع في الإنفاق حتى فرغت الخزينة فغرق في فخ الديون ونتيجة لهذا لم يكتف الباي بالضريبة المفروضة فضاعفها دفعة واحدة الأمر الذي ترتب عنه ثورة على بن غذاهم في 1864 التي كادت تنسف عرشه[3]. عرشه[3].

تظهر هذه الشخصية في الرواية الحاكم الضعيف ، استغل حادثة اختطاف عائشة التي كانت وقود في ظل الدهاء السياسي ولعبة المصالح ، وهذا ما نلمسه في المقطع السردي (سيدي الباي ... يا مولانا ... قد بدأت تباشير شمسك تعود... يبتسم الباي ويقول : اشرفي على ساحة المعركة يا عيشة تنسمي لنا الإخبار... فوالله إن الكبد حريق)[4] ، وهذا ما أكد

[1] حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ، ص 19.

[2] الشيباني لغيث ، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي ، 68

[3] المرجع نفسه ، ص 65.

[4] حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ،ص64.

عليه **محمد رياض وتار** (أن الرواية العربية المعاصرة وظفت نماذج من الحاكم الضعيف الذي ينصرف عن اللهو والمجون)[1].

مصطفى خزندار : يوناني الأصل ،تربى في قصور الأسرة الحسينية الحاكمة في تونس ، بمجرد أن تولى احمد باي اختاره إلى جانبه لمناصب في الدولة إلا أن دوره الواسع والخطير برز في شكل اكبر في عهد الصادق باي الذي كان ضعيف الشخصية مما أتاح الفرصة للوزير لكي يسير شؤون الدولة السياسية والمالية ويساعد البايات على الإسراف والقسوة في جباية الضرائب واعتبر هو الحائك لخيوط المأساة والتدهور الاقتصادي والوقوع في حبل الديون[2].

اقتصرت شخصية مصطفى خزندار في الرواية باستغلاله قصة عائشة ومحمد ليشعل نار الفتنة بين القبائل المساندة لعدوهم و لابن غذاهم وثورته وهذا ما نجده في الرواية مخاطبا باي المحلة: (لا تترك الحدث يمر بسلام ولا تتدخل في الصلح حتى يأتيك أمري)[3] ، إلى أن انتهى به الأمر بدخوله السجن ومحاسبته على أعماله .

- الشخصيات العابرة والمهملة :

وهي التي نادرا ما تظهر على مسرح الأحداث أو يكون ظهورها عابرا أو مرهونا بسد ثغرة سردية محدودة جدا حيث هذه الشخصيات الهامشية لها قوة مؤثرة أحيانا مع هامشيها أو ثانوية أدوارها ونخص بالذكر:

علي بن غذاهم : ينعت بـ : (ابن أبي الضياف)، ثائر من أولاد مساهل بالجنوب التونسي زمن حكم محمد الصادق باي ، شهدت ثورته 1864[4] لما فوجئ الناس بزيادة الضرائب وتأزم الوضعية الاقتصادية عبروا عن رفضهم لأدائها ولو أدى ذلك لإبادتهم ارتأت القبائل أن تتخذ من على بن غذاهم وسيطا بينها وبين الباي ليرفع إليه عدم قدرة الأهالي على الدفع

---

[1] محمد رياض وتار : توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، ص 234.

[2] الشيباني بالغيث : الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي ،ص 68

[3] المرجع نفسه ، ص 69

[4] عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (تونس ، الجزائر ، ليبيا) ، من (1816-1871) ، تقديم زوبار منتران ، الدار التونسية للنشر ، ص 22.

ومطالبة بالإلغاء ذلك ، وكما قال عن نفسه (رئيسا لأجل مصلحة الجميع ونهي الظالم عن المظلوم)[1] ، ثارت القبائل بزعامته عندما لوحظ فقدان التوازن بين الثوار وانفراد كل مدينة بنزعتها الثورية وعجز السلطات عن مقاومة شرعية للانتفاضة ذلك دفعت السلطات للرجوع عن قرار زيادة الضرائب ، وانتهت ثورته سريعا والقي عليه القبض في السجن وتوفي .

من جهة أخري يمكن (تفسير اهتمام الرواية العربية المعاصرة بالشخصيات التاريخية التي اختارت المواجهة والتحدي والنضال ضد السلطة برغبة الروائيين بإسقاط تاريخ هؤلاء الثورين على الحاضر الذي هو أحوج ما يكون إلى شخصيات ثورية تواجه الظلم وتقف بوجه الظالمين)[2] وهذا ما نلتمسه في شخصية على بن غذاهم التاريخية كون حفيظة القاسمي استطاعت التحكم في الأحداث التاريخية من منطلق الشخوص التي أضافت العبق التاريخي في الرواية بصورة قوية .

جازيه :جازيه الهلالية الشخصية الأسطورية التي تسيطر على السيرة الهلالية ، أجمل جميلات بني هلال تزوجت بشكر الشريف بن هاشم حاكم مكة ، ظهرت هذه الشخصية التاريخية في الرواية على(شكل استدعاء بالاسم) وهذا ما حدده محمد رياض وتار أي (ذكر اسم شخصية في سياق السرد الروائي)[3] وهذا ما نلتمسه في رواية يبكيه الحمام حيث أشارت حفيظة القاسمي في قولها: (قد صدق الذين قرؤا الجنوب زمانا أن جازيه مرت بخطى المكر والحكمة)[4] فجازيه الهلالية مثال لتجربة المرأة ولدت في مجتمع قبلي عرف بالرأي والتدبير واتصفت بالعقل والفصاحة .

العجوز: هي شخصية موجودة في الرواية من قبيلة المرزاقة ، وصفتها لنا الكاتبة بقولها :(عجوز هزيلة شأنها شأن الكثيرات تجهل سنها)[5] ظهرت هذه العجوز غاضبة تلوم عائشة ومحمد لما آل إليه الوضع من حرب ورد ذلك في المقطع السردي : (جاءكم الويل يا

---

[1] عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ص 24

[2] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، ص 233.

[3] المرجع نفسه، ص 221.

[4] حفيظة القاسمي: يبكيه الحمام ، ص 98.

[5] المصدر نفسه، ص67.

مرزاقة)[1] متحسرة على أبناءها وأحفادها في الحرب خشية أن لا تراهم وليس لهم ذنب غير النخوة.

- ثمة ملاحظة: نستشعر نحن القراء قوة شخصية العجوز كونها وصفت عائشة ببوم الصحراء ونجد في الرواية (بوم الصحراء أول سبة سمعتها عائشة منذ حطت رحالها عند المرزاقة)[2] باعتبارها فأل شؤم على القبيلة والصحراء كلها .

أخواتها البنات: لدى عائشة أربعة أخوات ذكرتهم الكاتبة في الرواية بدور محتشم أو مهمل: غنية، العوجة،صحراء، فاطمة استحضرتم عائشة (لا سلام منهم ولا كلام)[3] وصمة عار تشويه سمعة تلاحقهم جراء هروب عائشة مع محمد وهذا ما قالته غنية لأختها العوجة (والله يا أختي إني ابكي حالنا من يرضى بنا زوجات بعد هذا المصاب لقد كتبت العار لنا).

ترد عليها: (كل شاه معلقة من عرقوبها)[4] أي أن كل إنسان مسؤول عن أعماله وعائشة هنا هي تتحمل لوحدها ما فعلت وليس لنا جزاء كونها هربت.

إخوانها الذكور :عائشة لها أربعة إخوة ذكور(أحمد ، مبارك ، زمال، محمد ، بو بكر والتواتي) إلا أن شخصية زمال نجدها مذكورة في الرواية وكان العدو اللدود لقبيلة المرزاقة ولمحمد بالخصوص لما يكنه له من كره وحقد

اليمامة : والدة أحمد ، ابنها الوحيد قتل ابنها في معركة عام عيشه دفع ثمن عفة المشتهاة ،ضاقت الأمرين بوفاة زوجها أولا وتلاه ابنها، ، اتخذت من الصحراء مكان لها مرددة دعائها:

قتال احمد وليدي الله يصدفو لدعاوي ....[5]

حاول الكثير إيواءها ما استطاعوا حتى وجدها احد الرعاة ميتة بين الوهاد.

---

[1] حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ، ص27.

[2] المصدر نفسه ، ص68.

[3] المصدر نفسه ، ص 17.

[4] المصدر نفسه ، ص 136.

[5] المصدر نفسه، ص 160

صاحب القربتان :هو علي والد الحسين ، وصفته الروائية بقولها : (رجل لا تمله المجالس كلامه حكم وموعظة)[1] بعد وفاه ابنه الحسين في معركة عام عيشة لم يتقبل هذه المأساة وخاصة انه الحسين الابن الوحيد الذي عاش له دون إخوته عصفت بهم الأمراض والعقارب والجفاف .

نجد هذه الشخصية تكبدت الألم والحزن على ابنها فاخذ قربتان على الكتف محملتين بدماء العشائر يجول بائعا ويتساءل : (من يشتري مني ؟من يدفع لي ؟)[2].

لقد عاش علي حرب عام عيشة حتى النهاية اثنا عشر عاما لم تنقطع رسالته.

اليامنة: والدة الحسين ، عندما قرر حسين اخذ الثأر لعمه الذي قتل في المعركة فأخذت بالنصح كون القرابة بينهم (لا تذهب يأبني ..أنهم أخوالك)[3] لم يبالي الحسين بكلام أمه وسار نحو المعركة وانتظرته لكن لم يعد ، وعاد فرسه يحمل رأسه لم تتحمل هذه الأم رؤية رأس ابنها قائلة (أه يا دنيا ..يعطيك الدنية)[4]، ثم أمسكت بخنجر ووضعت حد لحياتها .

ويمكن هنا القول أن الكاتبة حفيظة القاسمي قد اعتمدت على القتل في احياء احداث الرواية واثناء بحثي مرة على أساسيات كتابة الرواية صادفني قول نسيت صاحبه مفاده (إذا حدثت لك مشكلة سردية ما أو توقف نبض السواد في روايتك ...اقتل شخصية من الشخصيات ليحيا السرد من جديد) ، وها هي حفيظة تعتمد القتل أكثر من مرة في روايتها "يبكيه الحمام" سواء كان في القتل العبثي بغية استرجاع العفة مشتهاة كمقتل الحسين واحمد وفقت حفيظة القاسمي في توظيف الشخصيات التاريخية وذلك من خلال قدرتها في التنقل إلى زمن عام عيشة خلال حكم محمد الصادق باي .

---

[1] حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ، ص 72.

[2] المصدر نفسه ، ص 71

[3] المصدر نفسه ، ص 79

[4] المصدر نفسه ،ص83.

خاتمة

خاتمة:

وبعد التقصي والبحث في دراسة حضور التاريخ في رواية يبكيه الحمام تمكنا في الختام برصد جملة من النتائج التي توصلنا إليها أثناء التحليل , وهي :

- نشأة الرواية التاريخية في الأدب العربي على يد سليم البستاني ثم جرجي زيدان الذي تلته قائمة عريضة من كتاب في هذا النوع من الرواية أمثال نجيب محفوظ وفريد أبو حديد وغيرهم .
- للرواية التاريخية أهمية كبيرة خاصة الأهمية التعليمة منها كونها تزود القراء بالمعلومات التاريخية الهامة .
- ثمة علاقة وطيدة بين الرواية والتاريخ كون الرواية تتفاعل مع التاريخ وتجسد أنموذجه المسخر لفعل الحكي الروائي من خلال ارتباطها بالواقع وتصويره .
- تقاطع الروائي والمؤرخ في نقطة العودة إلى الماضي إلا أن كل منهما له هدف متباين من خلال هذه العودة ،فان كان هدف المؤرخ هو ملامسة الحقيقة فان مسعى الروائي هو ملامسة الجمال والتأثير في نفوس وجذب القارئ وتشويقه .
- من خلال تطبيق على رواية يبكيه الحمام لحفيظة القاسمي استطاعت تقديم عمل روائي اتكأت فيه على المادة التاريخية شكل من خلالها البناء الفني للرواية .
- لقد تأثرت الروائية بقضايا وطنها التي كلت لها مادة الخام التي تستقي منها ديمومتها الروائية من خلال كشف عن أهم فترات الحكم في تونس حيث عبرت عن معاناتهم في الصراع القائم بين الحاكم الظالم والشعب الذي كان مشحون بالضرائب والتحريض على القتال وخاصة في حكم محمد صادق باي.
- التزمت الكاتبة بالمصداقية في تعاملها مع الشخصيات التاريخية المشهورة مثل شخصية غذاهم ,محمد صادق باي .
- استطاعت الروائية أن توظف شخصيات تاريخية رئيسية بخصوص عام عيشة سواء من الجانب الايجابي والسلبي فأول شخصية استنجدت بها حفيظة القاسمي هي شخصية

عيشة الركروكية التي لعبت بمجريات الأحداث الرواية لاسيما في حادثة الاختطاف نجد كذلك شخصية محمد المرزوقي الذي قام بخطفها.

- إلى جانب شخصيات التاريخية رئيسية استطاعت الروائية أن توظف بعض من شخصيات ثانوية ومهملة لتساهم في سير الأحداث .

- استلهمت الروائية من تاريخ مادتها الحكائية من خلال صياغتها لأحداث الروائية، لجأت إلى استحضار حادثة الاختطاف وصراع الحب والحقد وصراع القبائل حولها ، كذلك مقتل الحسين واحمد وصاحب القربتين .

- جسدت لنا حفيظة القاسمي في روايتها يبكيه الحمام التاريخ بكل معانيه وعمق ما ينطوي عليه من دلالات وذلك من خلال البعد والإحداث والشخصيات فكان هذا الإسقاط التاريخي على هذه البنى واضحا وبارزا بشكل كبير .

إن ما قدمناه من دراسة مست حضور التاريخ في رواية يبكيه الحمام ماهو بداية أولية لمختف لدراسات الآتية.

ونسأل الله التوفيق فيما قدمناه...

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا : المصادر :

1. ابن خلدون :مقدمة ، دار الجوزي للطبع والنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط1 ، 2010.
2. جورج لوكاتش :الرواية التاريخية ترجمة صالح جواد الكاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط2 1976.
3. حفيظة القاسمي : يبكيه الحمام ، دار ميارة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2018، تونس.
4. الشريف الجرجاني :كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان بيروت ، ط1 ، 1983.
5. محمد الهادي شريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال ،ط3 ، دار سراس للنشر
6. محمد بن عبد الرحمان السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

ثانيا : المعاجم والقواميس :

1. ابراهيم مصطفى وغيرهم :معجم الوسيط ، دار للنشر والتوزيع ،ط2 ، 1983
2. ابن منظور : لسان العرب ، مجلد 6 ، دار الصادرة ، ط1 ، 200، بيروت .
3. خليل ابن احمد الفراهيدي ، كتاب العين ،تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتاب العلمية ، ج ،ط ، بيروت لبنان .
4. سعيد علوش : معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ،دار الكتب اللبناني ، بيروت، 1985.
5. لطيف زيتوني :معجم مصطلحات نقد الرواية مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، 1980.

ثالثا : المـراجــع :

1. أحمدزياد محبك ،متعة الرواية دراسة نقدية ، ط1 ،دار المعارف ، لبنان ،2005.

2. بوشوشة بوجمعة ، اتجاهات الرواية في المغرب العربي ،المغاربية للنشر والتوزيع تونس ،ط1 ،

3. حسن سالم هندي اسماعيل ، الرواية التاريخية في الادب العربي الحديث (دراسة في البنية السردية 1939-1967)، دار حامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ،ط1 ، 2014.

4. حسيني سيد لبيب و رشيد الذاودي :اتجاهات القصة التةنسية القصيرة دار الاتحاف للنشر و التوزيع ، القاهرة، 2000.

5. السعيد بيومي الورقس ، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، دار المعارف الجامعية ، القاهرة .

6. سعيد يقطين : قضايا الرواية العربية الجديد (الوجود والحدود) ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط المغرب ، ط1 ، 2012.

7. شريبط أحمد شريبط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية (1947-1985)، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ط1 1998.

8. شفيع السيد : اتجاهات الرواية العربية ، دار الفكر العربي ، جامعة القاهرة ، ط3 .

9. الصادق قسومة : الرواية مقوماتها و نشأتها في الادب العربي الحديث ، عين مركز الدراسات النشر الجامعي ، تونس 2000.

10. الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة ، دار الجنوب ،

11. صالح مفقودة :أبحاث في الرواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والادب الجزائري ،جامعة محمد خيضر بسكرة .

12. طه وادي : مدخل الى تاريخ الرواية المصرية ، دار النشر للجامعات ، مصر ، 1997.

13. عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في تاريخ المغرب (1816-1871) ، الدار التونسية للنشر ، ط1 ، تونس ، 1972.

14. عبد المالك مرتاض : القصة الجزائرية المعاصرة ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1990.

15. عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، المجلس الوطني للثقافة والاداب ، 1998.

16. عبد المالك مرتاض ، من تحليل خطاب السردي ، معالجة سيمائية ، تفكيكية لرواية زقاق المدق نموذجا ،ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995

17. فؤاد مرعي : في تاريخ الادبر العربي الحديث الرواية والسرحية ، مديرية الكتب والمطبوعات ، سوريا ، 1998.

18. فيصل دراج ،الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربيى ،المركز الثقافي العربي دار البيضاء ،ط1 ،المغرب 2004.

19. فيليب هامون : و سميولوجية الشخصية الروائية، ترجمة سعيد بن كراء ، دار الحوار للنشر ، سوريا ،ط 1 ، 2003.

20. مجدي وهبة و كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية والأدب ، مكتبة لبنان ، ط1، 2000.

21. مجموعة من الباحثين :تاريخ الادب التونسي الحديث والمعاصر ،المجمع التونسي للاداب والفنون ، بيت الحكمة ، 1993.

22. محمد الجابلي : من آفاق الرواية ، قراءة في نماذج السرد التونسي الحديث ، دار المها ، 2012.

23. محمد القاضي ، الرواية والتاريخ ، دراسات في التخييل المرجعي ، دار المعرفة للنشر، تونس ، 2008.

24. محمد بوعزة : تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ،ط1 ،2010.

25. محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،منشورات إتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2002.

26. محمود امين العالم : البنية والدلالة في القصة العربية المعاصرة ، دار المستقبل العربي ، مصر، 1994.

27. مها خالد سلمان أحمد : الادب والتاريخ نحو مدخل معرفي ، العدد 80، كلية التربية للعلوم الانسانية ،2019

28. نضال الشمالي : الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية) ، جدار للكتاب العالمي لنشر و التوزيع عمان ، ط1 ،2006.

29. نواف أبو ساري : الرواية التاريخية مولدها وأثارها في الوعي القومي العربي العام ، رواد و روايات دراسة تحليلية تطبيقة نقدية ،بهاء الدين لنشر والتوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ، 2003.

رابعا : المواقع والمجلات الالكترونية :

1- سليمة بالنور :الرواية التاريخية بين التأسيس والضرورة ، المجلة الثقافية ، نقلا من الموقع http://wwwoudnad.net

2- عبد الرحيم الحسناوي : السرد التاريخي والسرد الروائي (بحث في مستويات الخطاب) ، مجلة العاصمة ، المجلد التاسع ، 2017.

3- مصطفى لغتيري : بين الادب والتاريخ ، محور الادب والفنون ، العدد 2877، مارس 2010، نقلا من الموقع الحوار المتمدن :

4- http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=197855&r=0

5- الموسوعة التونسية المفتوحة :

6- http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9.

ملاحق

1- التعريف بالكاتبة" حفيظة القاسمي" :

حفيظة القاسمي قاصة وروائية وكاتبة تونسية من مواليد 1965، عاشت طفولة تعتبرها جميلة لأنها اندمجت فيها مع الطبيعة،زاولت دراستها بمسقط رأسها" طبرقة"، ثم زاولت تعليمها العالي بكلية الآداب منها تخرجت، تشتغل أستاذة لغة عربية، وعضوه باتحاد الكتاب التونسيين منذ 1997 ، بدأت الكتابة منذ طفولتها وخاصة أن والدها يقول الشعر حيث كانت تكتب الشعر كما لها تجربة في الرسم، عرفت بغزارة إنتاجها وتنوعه، كما عرفت بأسلوبها المتنوع، كتبت مختلف الأجناس الأدبية، وابتدعت جنسا أدبيا خاصا بها سمته " **الرواقصّة** "و هو جنس اعتبرته الكاتبة عبارة عن نصوص متصلة منفصلة قد تكون مجموعة قصصية وقد تكون رواية.

نالت العديد من الجوائز الوطنية والدولية، وهي تعتبر أن الجوائز لا تعطي الرفعة الحقيقية للكاتب بل رفعته في سمو حرفه.

- بعـــض أعـــمال المـــؤلـــفة

- البحث عن مدينة الريم :قصص،1997 م.
- دوامة المصير : رواقصة، 1998 م.
- من يوميات فتاة بلهاء : قصص،1999 م.
- رُشُّوا النجم على ثوبي ج :1 رواية، 2000 م.
- مريم نذُر لمصلى ج2 :2001 م.
- الطرح ج3 : 2003 م.
- حمامة البرج : وراقصة، 2003م.
- بلهاء أخرى تتحدث :قصص، 2003 م.
- أبعد من الشرق ج4 : 2004 م.
- صخرة الرّقيم :رواقصة،2005 م.
- عام عيشة :رواية،2007 م.

- هؤلاء :قصص بالاشتراك ،2007 م.
- أبي هنا : قصص،2010 م.
- الإشارة في العبارة :كتاب،2014م.
- غزالة :رواية،2015 م.

2- ملخص الرواية :

تحكي رواية يبكي الحمام (عام عيشة) للكاتبة حفيظة القاسمي محطات تاريخية مرت بها تونس جسدتها الروائية في رويتها حيث تعرض قصة حرب وقعت بين عشيرتي الركاركة والمرازقة المتفرعتين من نفس القبيلة بالجريد التونسي (بين الرديف ، توزر ، نفطة ، ودقاش) لاسترجاع فتاة تدعى عائشة الركروكية خطفها شاب يدعى محمد المرزوقي بعد أن رفض أهلها طلبه للزواج بها وأهانوه ، زمن حكم محمد الصادق باي الذي شهدت فترته ثورة على بن غذاهم (1864) . فاستغل الوزير مصطفى خزندار الحدث ، وأشعل نار الفتنة بينهما دون هوادة ، كما غذى الصراعات بين القبائل والعروش الأخرى في كامل البلاد معتمدا الحيلة والرشوة حتى يشتت شمل المناصرين للثورة ... وقد دامت هذه الحرب اثنتي عشرة سنة ، سميت ب " عام عيشة " .

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
المدخل : الرواية التونسية.	
أولا: نشأة الرواية التونسية.	06
ثانيا: بدايات الرواية التونسية.	07
ثالثا: المراحل الكبرى للرواية التونسية.	08
رابعا: اتجاهات الرواية التونسية.	11
الفصل الأول: ماهية الرواية التاريخية.	
أولا: مفهوم الرواية التاريخية.	14
1- مفهوم الرواية .	14
2- مفهوم التاريخ .	15
3- مفهوم الرواية التاريخية.	16
ثانيا : نشأة الرواية التاريخية.	20
1- في الأدب الغربي.	20
2- في الأدب العربي.	22
ثالثا: مراحل تطور الرواية التاريخية واتجاهاتها.	26
1- مراحل تطور الرواية التاريخية.	26
2- اتجاهاتها.	26
3- شروطها وأهميتها.	27
رابعا: بين الرواية ورواية التاريخ.	28

1- بين الرواية التاريخية وروتاية التاريخ.	28
2- بين الروائي والمؤرخ.	29
3- العلاقة بين الأدب والتاريخ.	30
الفصل الثاني: حضور التاريخ وتجلياته في روية يبكيه الحمام لحفيظة قاسمي أنموذجا	
أولا: البعد التاريخي في الرواية.	34
ثانيا: الأحداث التاريخية في الرواية.	38
ثالثا: الشخصيات التاريخية في الرواية.	44
خاتمة	58
قائمة المصادر والمراجع	61
ملاحق	66
ملخص	

ملخص:

عالج هذا البحث حضور التاريخ في رواية يبكيه الحمام للكاتبة والروائية التونسية حفيظة القاسمي ، حاولنا فيه دراسة حضور التاريخ ومدى تجليه في بنائها السردي وأبعاد هذا التوظيف في الرواية من خلال التداخل الفني بين العمل الروائي والمادة التاريخية.

الكلمات المفتاحية : الرواية – التاريخ .

Résumé :

Cette recherche traite de la question de la présence de l'Histoire dans le roman « Youbkihi El-Hameme » de l'écrivaine tunisienne « Hafidha El-kassimi ». Dans ce travail, on essaye d'étudier l'apparition de l'histoire dans la structure narrative du roman et les dimensions de son utilisation à travers le fusionnement du travail littéraire et de la matière historique.

Les mots clés : Roman - Histoire.